بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ [المجادلة : ١] **وقوله : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾** [آل عمران : ١٨١] **وقوله : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾**] الزخرف : ٨٠] **وقوله : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** [طه : ٤٦] ، **وقوله : ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾** [العلق : ١٤] ، **وقوله : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾** [الشعراء : ٢١٨ــ٢٢٠] **وقوله : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾** [التوبة : ١٠٥] ، **وقوله : ﴿ وهو شديد المحال ﴾** [الرعد : ١٣] ، **وقوله : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾** [آل عمران:٥٤] ، **وقوله : ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾** [النمل : ٥٠] ، **وقوله : ﴿ إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ﴾** [الطارق : ١٥ ، ١٦] **وقوله تعالى: ﴿ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا ﴾** [النساء : ١٤٩] ، **وقوله : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾** [النور : ٢٢] ، **وقوله : ﴿ ولله العزة ولرسوله ﴾** [المنافقون : ٨] ، **وقوله عن إبليس : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾** [ص : ٨٢] .

الشرح :

هذه الآيات كغيرها فيما تقدم ، اشتملت على إثبات العديد من أسماء الله

وصفاته سبحانه وتعالى ، فيجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من أسمائه وصفاته ، مع الإيمان بأنه تعالى لا مثيل له في شيء من ذلك ، وأنه لا يعلم كيفية شيء من صفاته أحد من خلقه ، فلا يعلم كيف هو إلا هو ، ولا يعلم كيفية سمعه وبصره وغير ذلك ، لا يعلم أحد من العباد كون هذه الصفات ، بل ذلك مما استأثر الله بعلمه .

وهذه الصفات التي اشتملت عليها الآيات من الأسماء : السميع ، والبصير ، والعفو ، والغفور ، والقدير ، وكلها أسماء ثابتة لله ، فهو السميع البصير ، وهو العفو الغفور ، وهو العفو القدير **﴿ إن الله كان عفوا قديرا ﴾** .

وتقدم بعض ذلك ، وكل اسم من هذه الأسماء متضمن لصفة من صفاته سبحانه وتعالى . ومما يحقق أن أسماءه ليست ــ كما تقول المعتزلة ــ أنها مجرد أعلام محضة لا تدل على معانٍ ، بل إنها أسماء تدل على معانٍ ، على صفات ؛ فهو تعالى السميع ، وهو يسمع أقوال العباد حسنها وقبيحها ، ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ [المجادلة : ١] المرأة التي ظاهر منها زوجها جاءت تجادل النبي عليه الصلاة والسلام وتشتكي حالها وعيالها ، وقد كان الظهار في الجاهلية طلاقا تحرم به المرأة وليس لهذا حل ، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآيات بمناسبة هذه المرأة ، فأبان تعالى أن الظهار ليس طلاقا ولا تحرم به المرأة ، لكن تجب فيه الكفارة ، وأن الظهار منكر من القول وزور ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله** ﴾ تشتكي إلى الله حالها ، تقول في أمر عيالها : إن ضممتهم إلي جاعوا ــ لأنهم ليسوا تحت رعاية أبيهم الذي ينفق عليهم ــ وإن تركتهم له ضاعوا ، ﴿ **وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ يسمع .

وجاء في قصة هذه المرأة عن أم المؤمنين عائشة ، تقول : إني في جانب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها ، وتقول رضي الله عنها : سبحان من وسع سمعه الأصوات .

المرأة تجادل الرسول وعائشة قريبة منها ويخفى عليها بعض كلامها واله العلي الأعلى يسمع كلامها ، ﴿ **قد سمع الله** ﴾ (قد) للتحقيق ، ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله** ﴾ والله سمع كلامها متى ؟ عندما كانت منها المجادلة وكان منها الحوار ، سمع كلامها ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ يسمع الحوار الذي بينها وبين الرسول ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾ .

(سمع) و(يسمع) لأنه سميع بصير ، وكذلك يسمع المجترئين المفترين على الله من الكفار ، لكنه يحلم عليهم ويمهلهم ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير** ﴾ هذه مقالة لبعض اليهود ، واليهود أهل جرأة على الله وتنقص ؛ ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان** ﴾ نعم ، سمع الله قول هذا الكافر العنيد المجتريء على الله : ﴿ **إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ يعني لما أنزل الله : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** ﴾ [البقرة : ٢٤٥] قال هذا الخبيث : الله يستقرضنا من أموالنا . ــ أو يستقرضنا أموالنا ــ الله فقير .

والله يخبر بأنه سمعه ، وفي هذا الإخبار تهديد ﴿ **لقد سمع الله** ﴾ ليس المراد فقط الإخبار بأنه سمعه ، لا ، هذا في ضمنه التهديد ، نعم . وهذا فيه توطئة ، اللام هي الموطئة للقسم ، المعنى : والله ﴿ **لقد سمع الله قول الذين**

قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾
.

كما أن من هذا القبيل ما جاء في قوله تعالى مهددا للمكذبين للرسل : **﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾** بلى نسمع ، الله يسمع سرهم ونجواهم وسيجزيهم على ما يدور في هذا السر والنجوى **﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾** فالله يسمع كلام المتآمرين على رسل الله ، والمتناجين بالإثم والعدوان ، والرسل تكتب أيضا ، الرسل : الملائكة الموكلون بكتابة الأعمال تكتب .

إذًا هذه الأقوال الخفية التي يستسر بها أهلها هي مسموعة للرب ومكتوبة بأيدي الحفظة الكرام الكاتبين **﴿ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾** وفي هذا ما فيه من التهديد والوعيد .

كذلك من هذه الآيات قوله تعالى : **﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** هذا خطاب من الله لموسى وهارون ، لما أرسلهما الله إلى فرعون خافا ، وفرعون طاغية وهما بشر يخافان ، هذا قاله الله عن موسى وهارون لما قال لهما : **﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إن ن ا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾** فثبتهما بوعدهما بمعيته لهما وبأنه يسمع ويرى **﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** يسمع ما يدور بينهما وبين فرعون وقومه ، يسمع كلام موسى وهارون ، ويسمع كلام فلاعون الطاغية ومن معه ، يسمع الكل ، وفي هذا وعد ووعيد ، ولكن جانب الوعد أظهر ؛ لأنه جاء خطاب لموسى وهارون ، **﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** أيضا : وأرى ، فهو تعالى من صفاته الرؤية ، فهو يرى ؛ إذ

هو سميع بصير .

إذًا اسمه البصير ليس اسما مجردا عن المعنى ، بل اسم يدل على أنه تعالى ذو بصر نافذ لجميع المخلوقات .

إذًا هو يرى جميع المرئيات . والله تعالى ينوع الأدلة على إثبات هذه الصفة ، إثبات صفة الرؤية **﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** ، **﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ﴾** فالله يرى ما يجري بين الرسل وأعدائهم المكذبين ، يرى سبحانه وتعالى العباد في مساجدهم ومحاريبهم ، يراك أيها العبد ، فاحذر أن يراك ربك حيث نهاك .

وفي ذكر السمع والرؤية في هذه المواطن تثبيت لقلب الرسل وأتباعهم ، وفيه تقوية لعزمات العابدين ، إذا استحضر العبد وهو يعبد ربه أن الله يراه هذا مقام من مقامات الإحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، **﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾** .

ومن الآيات الدالة على الرؤية قوله سبحانه وتعالى : **﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾** [التوبة : ٩٤] **﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾** .... إلى قوله : **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾** ، وفي هذا تهديد للمناف قين بأن ما تعملون سيراه الله ويراه الرسول ويراه المؤمنون **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾** في آية قبلها **﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾** هذه في المناسبة صريحة ، سيرى الله عملكم ، فالله يرى عمل العاملين ، العاملين

المحسنين أو العاملين المسيئين ، الله يرى أعمال هؤلاء وهؤلاء ، يرى أعمال ا لمؤمنين من صلاتهم وصدقاتهم وحجهم وجهادهم ، ويرى أعمال الكافرين من شركهم وظلمهم وعدوانهم وجرائمهم ، يرى هؤلاء وهؤلاء .

فيه إثبات السمع والبصر والرؤية لله سبحانه وتعالى ، فهو تعالى يسمع وسمعه واسع لجميع الأصوات ، ويرى وبصره نافذ لجميع المخلوقات فيرى جميع المرئيات ، لا يحجب بصره شيء ؛ فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء .

ومن الصفات التي اشتملت عليها الآيات التي قُرِئَتْ : صفة المكر والكيد ، والمكر والكيد معناهما متقارب ، وكذلك المحال ، **﴿ وهو شديد المحال ﴾** [الرعد : ١٣] ، يعني شديد المكر بأعدائه من الكافرين والمنافقين ، فمن مكر الله به فهو المغلوب ، ولهذا قال سبحانه وتعالى في الكافرين : **﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾** وقال تعالى في قوم صالح : **﴿ ومكروا مكرا ومكرنا ومكرا وهم لا يشعرون ﴾** وقال سبحانه : **﴿ إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ﴾** فالله يكيد الكافرين والمنافقين ويمكر بهم ، وهو خير الماكرين ، والعباد يمكرون ويكيدون وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد ، ولكنه تعالى يمكر بأعدائه حقيقة ويكيدهم حقيقة .

والمكر والكيد : هو تدبير خفي يتضمن إيصال الضرر من حيث يظن النفع ، الذي يريد أن يمكر يظهر المحبة ويظهر الإحسان وهو يتخذ ذلك وسيلة للإيقاع بخصمه وعدوه .

والمكر من الناس منه المحمود والمذموم ، فإذا كان على وجه العدل فهو محمود ، وإذا كان على وجه الظلم والعدوان فهو مذموم ، فمكر الناس منه

المحمود ومنه المذموم . فالمكر مجازاة ، والمكر بالكفار ، يعني مكر المسلمين في الحرب خدعة ، أعني المكر بهم والتدابير الخفية للإيقاع بالكافرين ، هذا كله من أنواع الجهاد في سبيل الله ، لكن المكر بالمؤمنين ، هذا من المكر بغير حق ، وهذا ظلم وعدوان .

أما المكر من الله فهو كله محمود وعدل وحكمة ، هو يمكر بالكافرين مكرا حقيقيا ، ويدبر تدبيرا خفيا يوصل به العقاب من حيث يَظُنُّ الإنعام ، وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ [الأعراف : ١٨١ــ ١٨٢] الاستدراج هذا هو المكر ، قال تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما** ﴾ [آل عمران : ١٧٨] إملاء الله للكافرين هو من مكره بهم ، ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون بغتة فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ [الأنعام : ٤٤ ــ٤٥] ، ﴿ **أبواب كل شيء** ﴾، مما يشتهونه ويفرحون به ، أليس هذا مكراً ، يفتح الله عليهم أبواب المسرات والنعم والخيرات ، ويصب عليهم مما يشتهون ،﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا** ﴾ أحل بهم النقمة .

والآن ما تتمتع به أمم الكفر من الحضارة ، والرقي ، والتقدم المادي والسلطان ، والقوة على سائر أمم الأرض ، هذا والله إنه من مكر الله بهذه الأمم الطاغية ، إنهم يعيشون في مكر من الله ، فارفرادهم بهذه الفتوح المادية أدت بهم إلى الاغترار والزهو ، والغطرسة ، والكبرياء ، والتسلط والظلم ، فهل انتفعوا بهذه الحضارة ؟ لا والله ، بل ازدادوا بها إثما ، ((إن الله ليملي

للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)) .

فالواجب على المسلمين ألا يغتروا بما يعيش فيه الكفار من مظاهر عز ، وتقدم ورقي ، وعلوم ومعارف ، يجب على المسلمين أن يسعوا فيما ينفعهم ، لكن من غير أن يعجبوا بالكفار ، ومن غير أن يعظموا الكفار ، وأن يسيروا في ركابهم ، وأن يقلدوهم في التوافه ، وفيما يضر وما لا ينفع .

المقصود أن هذا من مكر الله ، بل من مكر الله بالمنافقين أن شرع قبول علانيتهم ، والمنافقون هم من أظهر الإيمان وأبطن الكفر ، فالله أمر بأن نقبل علانيتهم ونترك سريرتهم ، فيظن المنافق أن رفاقه قد راج على الله ، وأنه بهذا قد خدع الله ، ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا** ﴾ [البقرة : ٩] .

ومن الصفات التي ورد بعض الأدلة والشواهد عليها : العزة ، فمن صفاته تعالى العزة ، والعزة تفسر بمعنى القوة والغلبة ، فله العزة صفة سبحانه وتعالى ، ومن أسمائه العزيز ، فله العزة بكل معانيها ، وله العزة جميعا ، وهو الذي منه العزة ، أي يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وقد جعل العزة الحقة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ .

وكلما كان حظ الإنسان من الإيمان أكبر ، كان حظه من العزة والنصر والنجاة أوفر .

فاسمه العزيز ، يدل على صرفة العزة ، فليس اسما محضا مجردا خاليا عن المعنى ، لا ؛ إذ النصوص دلت على إثبات هذا الاسم ، وإثبات ما يدل عليه من الصفة ، ﴿ **ولله العزة** ﴾ ، وقال على لسان إبليس ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ إبليس يقسم بعزة الله ، إبليس يهدد آدم وذريته بالإغواء ، نعوذ بالله

من إبليس وذريته وجنوده من شياطين الإنس والجن .

إذًا العزة صفة من صفاته سبحانه وتعالى ، فله الغلبة على كل شيء ، ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ [المجادلة : ٢٠ ــ ٢١] .

وهو العزيز ، بمعنى أنه الذي لا مثيل له ، عزيز لا مثيل له سبحانه وتعالى ، فله إذًا العزة بكل معانيها وعلى أكمل وجه .

وإن كان المخلوق له عزة ، فليست العزة كالعزة ، والمخلوق يسمى عزيزاً كما قال تعالى : ﴿ **قالت امرأة العزيز** ﴾ [يوسف : ٥١] ، وليس العزيز كالعزيز ، فسبحان الله العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وله المثل الأعلى .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٧٦] ،**وقوله : ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾** [مريم: ٦٥] ، **وقوله :﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾** [الإخلاص : ٤] ، **وقوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾** [البقرة : ٢٢] ، **وقوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾** [البقرة : ١٦٥] ، **وقوله : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾** [الإسراء : ١١١] ، **وقوله : ﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾** [التغابن : ١] ، **وقوله : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾** [الفرقان : ١ــ٢]، **وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾** [المؤمنون : ٩١ــ٩٢] ، **وقوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** [النحل : ٧٤] ، **وقوله : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾** [الأعراف : ٣٣]

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن

.....

اهتدى بهداه .

كل الآيات المتقدمة ، التي ساقها المؤلف ، أدلة وشواهد على ما وصف الله به نفسه من الصفات الثبوتية ؛ فإنه كما سبق في قاعدة النفي والإثبات ، وهي : أنه تعالى موصوف بالإثبات والنفي ، وأن الله قد جمع بما وصف به نفسه ، بين النفي والإثبات ، وآخر الآيات التي قُرِئَ فيها دلالة على إثبات العديد من أسماء الله وصفاته ، كما تقدم ، منها السميع البصير العفو الغفور القدير، فمن صفاته السمع والبصر والعزة ، ومن صفاته العَفوُ ، ومن أسمائه العَفوُّ ، ومن شواهد الأسماء التي قُرِئَت في الليلة الماضية ، قوله تعالى : **﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى**

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [النور : ٢٢] فإن في هذه الآية إثبات هذين الاسمين من أسمائه الحسنى ، الغفور والرحيم .

وفي قوله تعالى : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا** ﴾ [النساء : ١٤٨ــ ١٤٩] فيه إثبات اسمان من أسمائه ، العفو القدير .

وكل اسم متضمن لصفة ، فمن صفاته العفو ، والتجاوز عن السيئات ، وإزالة آثارها ، ومن صفاته القدرة ، والعفو إنما يكون كمالا إذا كان مع قدرة ، ولهذا قرن الله بين هذين الاسمين ، العفو والقدير .

فعفوه لا عن عجز ، بل مع قدرة ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ ، فيه إثبات اسمين من أسمائه وهما

الغفور الرحيم ، وقد تقدم لهذا نظائر ، فهو الغفور ، والغفور صيغة مبالغة ، تدل على كثرة مغفرة للذنوب ، فهو الغفور ، وهو الغفار ، وهو غافر الذنب ، وهو الرحيم ذو الرحمة الواسعة ، وهو الر حيم الذي لم يزل موصوفا بالرحمة.

وفي هاتين الآيتين ترغيب في العفو والمغفرة ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ، فمن عفا عفا الله عنه ، ومن غفر غفر الله له ، ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ ، ﴿ **إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا** ﴾ .

ومن سنة الله في الجزاء ، أن يجز ي كلا بجنس عمله ، ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ [الرحمن : ٦٠] وفي الدعاء المأثور الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة حيت سألته ، قال : ((اللهم إنك عفو تحب العفو)) ، هو يحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض وأن يغفر بعضهم لبعض ، ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ وهذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه عندما حلف ألا ينفق على مسطح بن بنت خالته ، فلما أنزل الله هذه الآية ، قال : بلى ، إني أحب أن يغفر الله لي ، فرد على مسطح نفقته ، وبعد :

فهذه الآيات التي تليت آنفا تختلف عن الآيات السابقة ؛ فإن هذه الآيات : ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ ، ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريكا في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا** ﴾ ، ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا** ﴾ ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ ، ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ ، ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان**

معه من إله ﴾ . هذه الآيات تتضمن نفي هذه النقائص عن الله ، فهي تتضمن وصف الله بنفي تلك النقائص ، فالله موصوف بالإثبات وبالنفي .

ومن صفات النفي التي يوصف الله بها ، أنه تعالى منزه عن الولد ، والوالد ، والكفء ، والند ، والشريك ، والولي من الذل ،

﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ﴾ ، في نفي الولد ، ونفي الولد نجده في القرآن كثيرا ، في سورة الإخلاص ، في آيات أخرى فيها تنديد بالذين ينسبون إليه الولد ؛ وذلك لأن كثيرا من الأمم نسبوا إليه الولد ؛ فاليهود قالت : **﴿ عزير ابن الله ﴾** [التوبة : ٣٠] ، والنصارى قالت : **﴿ المسيح ابن الله ﴾** [التوبة : ٣٠] ، ومشركوا العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، ولهذا كثر التنديد بمقالتهم **﴿ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين ﴾** [الصافات : ١٤٩ ــ ١٥٦] ، فيه توبيخ وتقريع وإفحام ، إفحام لأولئك ، وأنهم لا حجة لهم ، لا من عقل ، ولا من شرع ، ولا من حس ، ما هو إلا الكذب والافتراء الذي زينه الشيطان لهم ، **﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ضيزى ﴾** [النجم :١٩ــ٢٢] .

وكل من أشرك مع الله غيره ، فقد جعل له مثله ، وجعل له ندا ، ولهذا أنكر الله عليهم ذلك ، **﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾** [البقرة : ٢٢] ، لا تجعلوا له أشباها ونظراء ؛ فإنه لا نظير له .

لا تجعلوا له أندادا في العبادة ؛ فإنه هو الإله الحق ، الذي لا يستحق

العبادة سواه ، فلا نظير له في ذاته أو في صفاته**﴿ ليس كمثله شيء ﴾** كل هذه الآيات ، الغالب وإن كان فيها إثبات ، لكن الشيخ رحمه الله ساقها للاستشهاد بها على الصفات السلب ية ، على وصفه تعالى بنفي هذه النقائص ، فالله موصوف بنفي النقائص والعيوب : بنفي الشريك ، **﴿ لا شريك له ﴾** ، كم تجدون في القرآن **﴿ لا شريك له ﴾ ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾** ؟.

نفي الولد ، نفى الصاحبة ، **﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾** [الجن : ٣] ، **﴿ أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾** [الأنعام : ١٠١] .

نفي المثل ، **﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** [النحل : ٧٤] **﴿ ليس كمثله شيء ﴾** [الشورى : ١١] ، **﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾** [

البقرة : ١٦٥] ، فذم سبحانه وتعالى الذين اتخذوا من دون الله أندادا في المحبة ، يحبونهم كحبهم لله ، يسوونهم بالله في المحبة ، والسمي ، والند ، والكفء أو الكفو ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ ، والمثل ، كلها ألفاظ متقاربة ، كلها تفسر بالمثل ، والشريك ، والشبيه ، والنظير ؛ فإنه كما تقدم بأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفء له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه .

ونفي هذه النقائص يستلزم إثبات الكمال ، يستلزم تفرده بالكمال ، فلا مثيل له ، ولا ند له ، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بربوبيته ، وإلهيته ، وأسمائه ، وصفاته ، متفرد فلا مثيل ولا سمي ولا ند ، ولا ولد ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله** ﴾ في نفي الولد ، ونفي الإله ﴿ **إذًا لذهب كل إله بما خلق** ﴾ لو كان مع الله إله آخر ، لكان للإله خلق ، ولانفرد كل إله ، وذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، ولكنه ما ثمَّ إلا إله واحد ، هو

الإله الحق ، كل ما يعبد من دون الله ، فهو معبود بالباطل .

إذًا ليس في الوجود إله حق إلا الإله الواحد ، ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

لا إله إلا الله أصل الدين ، الرُّسلِ كلهم من أولهم إلى آخرهم ، لا إله إلا الله نفي إلهية ما سوى الله ، وإثبات الإلهية له تعالى وحده ، ولا يتحقق التوحيد إلا بذلك ، بإثبات الإلهية له ، ون في الإلهية عمن سوى ، ثم تخصيصه بالعبادة ، وإفراده بالعبادة ، وذلك بعبادته وحده ، وترك عبادة ما سواه ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ [النساء : ٣٦] .

﴿ **تبارك اسم ربك** ﴾ ، (تبارك) هذه الكلمة تدل على التنزيه والتقديس ، تبارك معناه : تقدس وتعالى عن كل النقائص والعيوب ، من الشركاء ، والأنداد ، والأولاد .

﴿ **تبارك** ﴾، وفيها أيضا الدلالة على أنه تعالى ذو الخير والبركةُ ، والبركة هي الخير الكثير ، وهو سبحانه وتعالى الذي بيده الخير ، وهو الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى .

و﴿ **تبارك** ﴾ تدل على أن بركته تعالى ذاتية ، ليست مكتسبة ، أما المخلوق ما يكون فيه من بركة ، فهي بركة موهوبة ، وقال الله عن عيسى عليه السلام : ﴿ **وجعلني مباركا** ﴾ [مريم : ٣١]، فالعبد يكون مباركاً ، ولا يقال في العبد : إنه تبارك ، ما تقول : فلان تبارك ، كما يجري على ألسنة بعض الناس ، يقولون : تباركت علينا يا فلان ، أو تبارك هذا الشيء ، تباركتْ هذه السلعة ، هذا غلط ، والصواب : هذه سلعة مباركة ، وهذا شيء

مبارك ، وهذه دابة مباركة ، وهذه سيارة مباركة ، وما على ذلك ؛ فالمخلوق يجعل الله منه فيما شاء البركة .

أما الله تعالى ، فهو الذي بركته ذاتية له ، فهو الذي يوصف بأنه تبارك ، يقال : تبارك الله ﴿ **تبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ ، ﴿ **تبارك الله رب العالمين** ﴾ ، ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده** ﴾ وإن إنزال الفرقان من خيره وبركته ، من خيره الفياض ومن رحمته الفياضة ، من رحمته بعبادة ، أنزل الفرقان على عبده ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده** ﴾ ، فتبارك لا تضاف إلا إلى الله ، أو إلى اسم من أسمائه ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ .

وتقدم لكم أن القاعدة فيما يوصف الله به من نفي هو الإجمال ، أن يكون مجملا ، لا مفصلا ، لكن هذا هو الغالب ، وقد يأتي النفي مفصلا ، فنفي الكفء ، ونفي السمي والند كل هذا من قبيل النفي المجمل ؛ لأنه نفي مطلق ، نفي عام ، فلا سمي له ، ولا كفء له ، ولا ند له ، لا في ذاته ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فهذا نفي مجمل .

أما مثل نفي الولد ، نفي النوم والسِّنَة ، ونفي الصاحبة ، فهذا من النفي المفصل .

وكذا كل ما يوصف الله به من النفي ، فإنه متضمن لإثبات كمال ؛ فنفي السِّنَة والنوم ، يتضمن إثبات كمال حياته وقيوميته ، ونفي الضلال والنسيان ﴿ **لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾ [طه : ٥٢] يتضمن إثبات كمال علمه ، ونفي الغفلة عنه ﴿ **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** ﴾ [المؤمنون : ١٧] ﴿ **فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ [هود : ١٢٣] نفي الغفلة يتضمن كمال علمه ، فلكمال علمه لا يغفل .

ونفي الشريك ، يتضمن كمال تفرده في ربوبيته وإلهيته ، سبحانه وتعالى ، كمال تفرده ، فهو الواحد ، وهو الأحد ، وهو الإله الذي لا شريك له ﴿ **الذي له ملك السماوات والأرض** ﴾ ، ﴿ **ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك** ﴾ لا شريك له في ملكه ، ولا شريك له في شيء من أسمائه ولا صفاته ، فلا شبيه ولا شريك ، فلا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته ، ولا في أسمائه وصفاته ، سبحانه وتعالى .

ونفي الولي من الذل ، يتضمن كمال عزته ، وكمال قوته وقدرته ، فولايته لأوليائه لا تكون لحاجة له إليهم ، ولا لذل يلحقه تعالى وتقدس ، بل هو القوي العزيز ، وهو القدير المقتدر ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل**

وكبره تكبيرا ﴾ ، وكبره تكبيرا : عظم ربك تعظيما ، قولا وفعلا ، ؛ فهو الكبير المتعال ، وهو أكبر من كل شيء ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا .

ومن الآيات التي سيقت ، ولعلها آخر الآيات ، قوله تعالى : **﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾** : **﴿ الفواحش ﴾**: الفعلات المنكرة البالغة من القبح غايته ، والفاحشة هي الفعلة الشنعاء التي تستفحشها وتستقبحها الفطر السليمة والعقول المستقيمة .

﴿ والإثم والبغي ﴾: البغي على الخلق ، والبغي بغير الحق .

﴿ وأن تشركوا بالله ﴾، ولعل هذا هو الشاهد ؛ فتحريم الشرك بالله

يتضمن نفي الشريك ، تحريم الشرك يتضمن أنه لا شريك له ، كما أن قوله تعالى : **﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾** نهي عن جعل الأنداد لله ؛ لأنه لا ند له ، فلما كان تعالى لا ند له ، حرم على عباده أن يتخذوا له أندادا ؛ لأن ما يتخذونه أندادا وشركاء ليست أندادا و لا شركاء ، إلا في زعم المشركين ، وفي ظن المشركين ، وإلا فهي مخلوقات مربوبةناقصة عاجزة ، **﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾** .

المقصود أن هذه الآيات ، ساقها المؤلف استشهادا على ما سبقت الإشارة إليه ، من أنه تعالى موصوف بالإثبات والنفي ، وبأن الله جمع فيما وصف وسمى به نفسه ، بين النفي والإثبات ، فنجد بعض الآيات فيها إثبات فقط ، وبعضها فيها نفي فقط ، وبعضها يجمع الله فيها بين النفي والإثبات ، وكل إثبات فإنه يتضمن نفي ضده ؛ فإثبات العلم يستلزم نفي الجهل والنسيان والضلال والغفلة ، ونفي هذه الأشياء يتضمن كمال العلم ، وهكذا نجد أن أساليب القرآن في وصفه تعالى متنوعة كثيرا ، بل إن نصوص الصفات هي أكثر ما في القرآن ، نصوص الصفات مجملة ومفصلة هي أكثر من سائر الآيات .

عرفنا القاعدة : أن النفي المجمل هو المطلق العام ، والمفصل هو الذي يكون فيه تنصيص على أشياء معينة من المعاني ، كالولد والصاحبة والنوم والسنة ، ولله الحمد ، هذا والله أعلم وصلى الله سلم على نبينا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ في سبعة مواضع في سورة الأعراف ، قوله : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، **وقال في سورة يونس عليه السلام : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾** [يونس : ٣] ، **وقال في سورة الرعد : ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ﴾**[الرعد : ٢] ، **وقال في سورة طه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾** [طه :٥] ، **وقال في سورة الفرقان : ﴿ ثم استوى على عرش الرحمن ﴾** [الفرقان : ٥٩] ، **وقال في سورة الم السجدة : ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾** [السجدة : ٤] ، **وقال في سورة الحديد : ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾** [الحديد : ٤] .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه .

أيضا يتابع الشيخ ، رحمه الله سوق الشواهد القرآنية على إثبات صفاته سبحانه وتعالى ، والأدلة الدالة على صفاته تعالى .

فيذكر النصوص الدالة على صفة الاستواء ، وهو استواء الله على عرشه ، فيقول : (**وقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ في سبعة مواضع**) يعني : هذا المعنى في سبع مواضع من القرآن ، ذكر استواء

.....

الله على عرشه جاء في سبع مواضع أحدها في سورة طه ، بهذا اللفظ : **﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾** ، الرحمن هذا اسم من أسمائه الحسنى ــ التي كفر بها المشركون ، كما قال الله تعالى : **﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾** [الرعد : ٣٠] هو الرحمن ذو الرحمة الواسعة العامة ، وهو ذو الرحمة التي لم تزل ، فلم يزل هو الرحمن ، فلم يزل ولا يزال رحمناً رحيماً .

﴿ الرحمن على العرش ﴾ العرش ، قال أهل العلم : معناه في اللغة سرير الملك ، المعنى متلازم ، والمراد بالعرش في هذه الآيات عرش الرحمن ، وهو سرير ، وهو مخلوق ، وهو أعلى المخلوقات ، وأعظم المخلوقات ، ولا يقدر قدره إلا الله ، ولا يحيط العباد بعظمة هذا العرش ، وقد

وصف الله هذا العرش بأنه عظيم وكريم ومجيد ، في مواضع من القرآن ، ومنها هذه الآيات التي يخبر الله فيها عن استوائه على العرش :

ففي سورة الأعراف : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ ، ومثلها في سورة يونس ، وفي سورة الرعد :﴿ **الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش** ﴾ ، وفي سورة الفرقان : ﴿ **الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على عرش الرحمن فاسأل به خبيرا** ﴾ ، وفي سورة السجدة : ﴿ **الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ ، وآخرها في سورة الحديد : ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ .

﴿ **استوى على العرش** ﴾ ، معناها كما جاء ذلك عن السلف : علا وارتفع واستقر على العرش ، استواء يليق به ويخصه ، لا يشبه استواء

المخلوق على المخلوق ، المخلوق يوصف بالاستواء ، مخلوق يوصف بالاستواء على غيره ؟ نعم ، ﴿ **لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم** ﴾ [الزخرف : ١٣] ، واستوت سفينة نوح ، واستوت على الجودي ، ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين** ﴾ [المؤمنون : ٢٨] ، وليس الاستواء كالاستواء ، استواء الله على عرشه ، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق ، بل استواء يخصه ويليق به ولا يعلم العباد كونه .

فيجب أن يثبت ذلك لله ، مع نفي مماثلته لصفة المخلوق ونفي العلم بالكيفية ، ولكن الاستواء معلوم ، معناه معلوم كما قال الأئمة ، كما قال الإمام مالك وغيره لما سئل عنه ، لما قال له رجل : كيف استوى ؟ ، قال : الاستواء معلوم ــ معناه معلوم في اللغة العربية ــ إذاً هل هو معلوم في هذه النصوص ، أو ليس معلوم ؟ بلى إنه معلوم ؛ لأن الله أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين ، وأمر عباده بالتدبر ، وذم المعرضين عن تدبر القرآن .

إذاً الاستواء معلوم ، إذا قرأنا هذه الآيات نعلم معنى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ ، ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، نعم معنى ذلك يعني علا وارتفع واستقر كيف شاء سبحانه وتعالى .

ولكننا لا نعلم كيفية ذلك ، والإيمان به واجب ؛ لأن أصل الإيمان هو الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، فالإيمان بالقرآن والإيمان بالرسول يقتضي التصديق بكل ما في الكتاب والسنة من الإخبار ، الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تكلف وسؤال عما لا سبيل إلى العلم به .

ونلاحظ أن الآية الأولى ، وهي آية طه : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فيها الإخبار بأنه استوى على العرش ، لكن متى ؟ الله أعلم لم يبين ، لم تدل الآية على ترتيب هذا الاستواء ، أو وقت لهذا الاستواء ،﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، فيها إثبات الاستواء على العرش .

لكن سائر الآيات فيها ذكر خلق السماوات والأرض وعطف الاستواء على ذلك بحرف ثم ، ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى** ﴾ فهي تدل على أن استواءه على العرش بعدما خلق السماوات والأرض ، وهذا في كل الآيات الست .

﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ إذًا الاستواء ، استواء الله مخصوص بالعرش ، لا يقال أنه تعالى استوى على السماء ، فضلا على أن يقال : استوى على الأرض ، حاشا ، بل استوى على العرش ، العرش الذي هو سقف المخلوقات ، فهو أعلى المخلوقات ، وأعظم المخلوقات .

فالله تعالى فوق ذلك ، فوق جميع المخلوقات ، يلزم من علوه واستوائه على العرش ، علوه فوق جميع المخلوقات .

وأهل السنة مجمعون على إثبات هذه الصفة .

وأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، هذه الطوائف الرئيسة ، ومن دخل مدخلهم كالرافضة ــ لأن الرافضة تابع ــ صاروا معتزلة ، وكذلك الزيدية الذين دخلت عليهم أصول المعتزلة ــ كلهم ينفون صفات الرب ــ والاستواء من ذلك ، ينفون حقيقة الاستواء عن الله .

فمنهم من ينفي حقيقة العرش أيضا ، ويقول : المراد بالعرش الملك ، ﴿ **استوى على العرش** ﴾ يعني استولى على الملك ، فيفسرون الاستواء

بالاستيلاء ، والعرش بالملك .

وقد يكتفي بعضهم بصرف الاستواء إلى الاستيلاء ، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه .

أما العرش فقد دلت النصوص على أنه مخلوق متميز عن سائر المخلوقات ، موصوف بما ذكرت من أنه جاء في القرآن أنه عظيم وكريم ومجيد ، وجاء في السنة أنه ذو قوائم ، وجاء في القرآن أنه محمول ، ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله** ﴾ [غافر : ٧] يحملون العرش ، هل يصح أن يكون الملك ، يحملون الملك ؟ الملائكة من جملة ملك الله ، فلا يستقيم هذا التفسير الذي هو في الحقيقة تحريف .

وتفسير الاستواء بالاستيلاء أيضا فاسد من جهة اللغة ، ومن جهة الشرع ؛ فإنه لا يعرف في اللغة استوى بمعنى استولى ، ولا دليل لهم عليه إلا بيت قاله الأخطل النصراني في قوله :

قد استوى بشر على العراق

قالوا : إن هذا معناه أنه استولى على العراق ، وليس هذا صريحا ، استوى بشر على العراق ، يعني على عرشه وصار سلطانا عليه ، وهذا عمدتهم .

وأيضا من جهة المعنى لا يصح ؛ فإن الاستيلاء يشعر أنه كان قبل ذلك غير مستولٍ عليه ، وأنه صار مستولياً عليه بعد أن لم يكن ، ويشعر أيضا بالمغالبة .

فالمهم أن المعطلة ومن سلك سبيلهم ، ينفون حقيقة الاستواء ، ويفسرونه بالاستيلاء ، وهؤلاء أهل التأويل منهم ، أما أهل التفويض فيقولون

أن هذه نصوص يجب أن نمرها ألفاظاً دون أن يفهم منها معنى ، ودون أن تفسر ، تمر ألفاظاً ، وتقرأ ألفاظاً جوفاء لا تتدبر ولا يعقل لها معنى .

وكلا القولين باطل ، أعني قول أهل التفويض ، وأهل التأويل .

فالاستواء إذًا يجب إثباته لله ، يجب أن نؤمن أنه تعالى مستوٍ على العرش ، وأنه استوى عليه بعد خلق السماوات والأرض ، والعرش مخلوق قبل ذلك .

((كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء)) ، وفي الحديث الآخر ((قدر الله مقادير الخلق ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء)) .

وهذه النصوص ــ أعني نصوص الاستواء ــ هي من أدلة علوه تعالى على خلقه ، ونصوص الاستواء هي نوع من أنواع أدلة علوه تعالى على خلقه ، والتي سيذكر الشيخ منها نماذج في الشواهد التالية .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، **وقوله : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾** [النساء : ١٥٨] ، **وقوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾** [فاطر : ١٠] ، **وقوله عن فرعون : ﴿ يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذب ﴾** [غافر : ٣٦] ، **وقوله : ﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ﴾** [الملك : ١٦ ، ١٧] .

وقوله : ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد : ٤] ، **وقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾** [المجادلة : ٧] ، **وقوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾** [التوبة : ٤٠] ، **وقوله : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾** [طه : ٤٦] ، **وقوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذي هم محسنون ﴾**[النحل : ١٢٨] .

وقوله : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، **وقوله : ﴿ وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾** [البقرة : ٢٤٩] .

الشرح :

جملة من هذه الآيات التي قُرِئَت تدل أيضاً على علو الله تعالى ، وهي

.....

أنواع كما تقدم ، أدلة علو الله تعالى على خلقه أنواع كثيرة جدا ، في القرآن وفي السنة ، أوصلها شيخ الإسلام ابن تيميةَ تلميذ ابن القيم إلى أكثر من عشرين نوعاً ، ومعنى ذلك أن كل نوع تحته أفراد من الأدلة ؛ فمثلا من أنواع أدلة العلو : التصريح باستواء الله على عرشه ، هذا نوع ، وتحته كم دليل في القرآن ؟ سبعة كلها فيها التصريح باستواء الله على عرشه ، ومنها التصريح برفع بعض المخلوقات إليه **﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ، ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾ ﴿ إذ قال الله يا**

عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

إذًا من أنواع أدلة علوه تعالى على خلقه ، هو التصريح برفع بعض المخلوقات إليه ، كما في هاتين الآيتين .

ومن التصريح بصعود بعض المخلوقات إليه ، **﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾** .

وعروج بعض المخلوقات إليه ، **﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** [المعارج : ٤] **﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾** ، **﴿ ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾** [السجدة : ٥] هذه كلها أنواع من أدلة العلو ، ومنها التصريح بفوقيته تعالى على عباده ،**﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾** [الأنعام : ١٨] ومن ذلك التصريح بالفوقية مقرونة بمن **﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يأمرون ﴾** [النحل : ٥٠] .

ومنها أيضا التصريح بأنه في السماء ، وهذا في القرآن في موضعين كما هنا قال تعالى : **﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ﴾** فالله موصوف بأنه في السماء ، كل هذه تدل على علوه تعالى .

ومنها إخباره تعالى عن فرعون ، بأنه قال لهامان : **﴿ يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا ﴾** ، فهذه أيضا تدل على علوه تعالى على خلقه ، ووجه ذلك أن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء ، مما يدل على أن موسى قد أخبره بأن إلهه في السماء ، فذهب الطاغية يقول لوزيره هامان **﴿ ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا ﴾** إله موسى ، الذي يزعم أنه في السماء ، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله في السماء ؛ لأن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء ، بناء على أن موسى أخبر عن ربه ــ وهو كذلك ــ بأنه في السماء .

ومن النصوص الدالة على العلو ، التصريح بوصف العلو ، **﴿ وهو العلي العظيم ﴾** [البقرة : ٢٥٥] ، اسم من أسمائه العلي ، فله العلو بكل معانيه ، وله الفوقية بكل معانيها ، ذاتا وقدرا وقهرا .

ولكن العلو الذي أنكره المعطلة هو علو الذات ، وعلو القدر وإن أثبتوه لفظا ، فما أثبتوه في الحقيقة ؛ لأن من نفى صفة الرب تعالى ، نفى أسماءه وصفاته ، فما أثبت لله علو القدر ، **﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾** [الأنعام : ٩١] .

فالعلو الذي فيه النزاع بين أهل السنة وطوائف المبتدعة هو علو الذات

فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص ، من أنه في العلو فوق جميع المخلوقات ، فهو عالٍ بذاته فوق جميع المخلوقات ، فهو العلي الأعلى ، هو العلي ، وهو الأعلى ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ [الأعلى : ١] .

وأما أهل البدع فيقولون ــ أعوذ بالله من الضلال والزيغ ، زيغ القلوب ــ فيقولون أنه ليس في السماء ، ليس في العلو ، بل في كل مكان ، حالٌ في المخلوقات ، وهؤلاء هم الحلولية الذين رد عليهم الإمام أحمد فقال : (إن قولكم هذا يستلزم أن يكون الله في الأماكن المستقذرة ، من الحشوش وبطون الحيوانات ، وكفى بهذا تنقصا لرب العالمين) .

فالله أعلى وأجل من أن تحيط به مخلوقاته ، وأن يحويه شيء من مخلوقاته ، بل هو العلي العظيم ، العلي فوق كل شيء ، العظيم الذي لا أعظم منه .

فلو كان حالا في كل مكان ، ما كان هو العلي ، وما كان هو العظيم مطلقا .

وهؤلاء الضلال الملاحدة ، عمدوا لهذه النصوص الكثيرة فحرفوها ، كما حرفوا نصوص الاستواء فيما سبق ، حرفوا الباقي ، أو فوضوه فقد يقولون : ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ رفع الله عيسى إليه ، يعني إلى محل عظمته وسلطانه ، هذا من نوع تحريفاتهم .

﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ إلى محل عظمته وسلطانه ، وسلطان الله نافذ في كل مكان ، فيؤولون النصوص بنحو هذه التأويلات السمجة .

﴿ **ءأمنتم من في السماء** ﴾ هكذا يقولون : ءأمنتم من في السماء : أمر الله وسلطان ه ، وما ردوا أن أمر الله وسلطانه نافذ في كل مكان .

فيحرفون هذه النصوص ، فعندهم أن الله في كل مكان ، فالملائكة لا تعرج إليه ، نسبة كل المخلوقات إلى الله نسبة واحدة ، ليس بعضها أقرب إلى الله من بعض ، والنصوص دالة على أن من العباد والمخلوقات ما هو عنده ﴿ **إن الذين عند ربك** ﴾ هؤلاء مقربون ، الملائكة المقربون ، ﴿ **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

وكفى بهذا تنقصاً لرب العالمين ، وتلاعباًبكلامه سبحانه وتعالى ، حيث يصرف عن وجهه ، ويحرف عن مواضعه ، ويدعى أن كل

هذه النصوص ليست على حقيقتها ، بل هي مجاز .

إذًا يجب الإيمان بأنه تعالى له العلو بكل معانيه ، والفوقية بكل معانيها ، وأنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم .

فتقول : إنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وأنه تعالى العالي على جميع المخلوقات ، ولكن لا تقول : إنه استوى على جميع المخلوقات ، بل الاستواء على العرش ، فالاستواء يختص بالعرش ، وأما العلو فإنه على جميع المخلوقات .

ويقول الإمام ابن تيمية ، رحمه الله : إن الاستواء ، طريق العلم به هو السمع فقط ، وأما العلو فوق جميع المخلوقات فطريق العلم به هو السمع والعقل .

إذًا العلو : صفة ذاتية سمعية عقلية ، طريق العلم بها السمع المطابق للعقل ، وأما الاستواء : فطريق العلم به هو السمع ، يعني النصوص السمعية النقلية من الكتاب والسنة .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله بعد أن ساق جملة من النصوص الدالة على

علوه تعالى على خلقه ، ذكر النصوص الدالة على المعية ، وفي هذا تناسب ؛ ففي مقابل أدلة العلة يذكر أدلة المعية ، ومن هذه النصوص آية الحديد : **﴿وهو معكم أينما كنتم ﴾** ،وفي سورة المجادلة : **﴿ وهو معهم أينما كانوا ﴾** ، وهذه هي المعية العامة المتضمنة للعلم ، هو مع عباده أينما كانوا ، **﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾** .

والمعية في اللغة العربية تدل على مطلق المقارنة والمصاحبة ، ولا تستلزم اختلاطاً ولا ممازجة .

إذًا فوصفه تعالى أنه مع عباده ، لا يدل على أنه حالٌّ في المخلوقات كما زعم المبطلون الغالطون ، زعموا أن هذه الآيات تدل على أنه في كل مكان مع عباده ، معهم في بيوتهم ، ومعهم في سائر ما يكونون فيه ، في كل مكان ، وهذا فهم خاطيء ، هو مع عباده مع أنه تعالى في السماء ، هو في السماء في العلو ، مستوٍ على عرشه ، وفي نفس الوقت هو مع عباده ، معهم يسمع كلامهم ، ويرى مكانهم وحركاتهم وسكناتهم ، ويعلم سرهم ونجواهم ، لا يخفى عليه شيء من أمرهم .

إذًا هو معهم ، ولا يعني ذلك أنه مع النجوى الثلاثة والأربعة ، أنه معهم ، يعني في المكان الذي هم فيه ، وأنه متصل بهم ، وملاصق لهم ، من لم يفهم من هذا الكلام إلا هذا المعنى ، فهو جافي الطبع ، جامد العقل ، فاسد الفهم ، لا يفهم من هذا إلا أن يكون الله بين أولئك النجوى ، حالا بينهم ، داخل السقف الذي هم تحته ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عما يظنه الجاهلون .

فذلك من ظن السوء بالله ، من ظن أنه تعالى مع عباده يعني أنه مخالط لهم ، متصل بهم ، وممازج ، وأنه في كل مكان ، فقد ظن به ظن السوء ، وظن بكلامه تعالى ظن السوء .

وهذه المعية عند أهل العلم يسمونها المعية العامة ، الله مع الناس كلهم ، مع العباد كلهم ، ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ ، ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾ نجوى أيًّ كانت ، من مسلمين ، أو كفار ، من سائر الناس ﴿ **هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة** ﴾.

ومن قال من السلف أنه تعالى معهم بعلمه ، فهو حق ؛ إنما قال ذلك لبيان ما تقتضيه هذه المعية ، من أن مقتضاها العلم والسمع والبصر ، وقال الإمام أحمد عندما قال ذلك أو معناه : إن الله تعالى بدأ آية المعية بالعلم وختمها بالعلم . إذًا معنى (معهم أينما كانوا) يعني معهم بعلمه ، معهم وهو فوق السماوات ، هو نفسه مع عباده على هذا المعنى ، وعلى هذا الوجه ، مستو على عرشه وهو معهم نفسه لا غيره مع عباده يعلم أحوالهم ومكانهم ، ويرى حركاتهم وسكناتهم ، ويسمع كلامهم ، وهذه المعية تشمل كل الناس ، البر والفاجر ، الجن والإنس والملائكة .

وأما المعية الخاصة في الآيات الأخرى ؛ كقوله تعالى : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرى** ﴾ ﴿ **لا تحزن إن الله معنا** ﴾ ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ هذه معية خاصة ؛ لأنها جاءت مقيدة ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ الصابرون هم بعض العباد لا كلهم ، المتقون : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾ هم البعض ، ﴿ **لا تحزن إن الله معنا** ﴾ هذا يقوله

الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي بكر عندما قال له : (يا رسول الله ، إن المشركين لو نظروا إلى أقدامهم ــ أو إلى ما تحت أقدامهم ــ لأبصرونا) فقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تحزن إن الله معنا)) ، وأخبر الله عن هذه المقالة إذ يقول : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾ ، هذه معية خاصة ، والمعية الخاصة تتضمن ما تتضمنه المعية العامة من العلم والسمع والبصر وزيادة ، وهو النصر والتأييد والرعاية ، فهو معهم سبحانه وتعالى معية تتضمن حفظهم وكلاءتهم وحفظهم ونصرهم ، ﴿ **إن الله معنا** ﴾ ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ يكلهم سبحانه ويؤيدهم وينصرهم على أعدائهم ، فالمعية الخاصة تتضمن ما تتضمنه المعية العامة وزيادة .

فالمعية إذًا في كتاب الله ــ يعني المعية المضافة لله ــ نوعان :

- معية عامة ومقتضاها العلم والسمع والبصر .
- ومعية خاصة ومقتضاها الخاص الحفظ والنصر والتأييد والرعاية والعناية منه سبحانه وتعالى لأوليائه .

إذًا المعية العامة عامة للبر والفاجر ، وأما الخاصة فهي خاصة للمؤمنين المتقين المحسنين والصابرين والمرسلين ، وهكذا .

وأهل السنة والجماعة يثبتون المعية له تعالى على ما يليق به ، ويؤمنون بأنه لا منافاة بين علوه ومعيته ، فهو عال في دنوه قريب في علوه ، لا منافاة بين النصوص الدالة على علوه والنصوص الدالة على قربه ومعيته سبحانه وتعالى .

وأهل الضلال يعارضون بينهما ، ولاحظوا كيف حرفوا نصوص العلو

وحملوا نصوص المعية على ظاهرها عندهم ، وليس ما فهموه هو ظاهرها ، كلا ، لكنهم فهموا نصوص المعية وحملوها على ظاهرها عند ذي الفهم السقيم والذهن الجاف الجامد ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ يعني مخالط لكم ومعكم في غرفكم وحجركم ، يعني تحت سقفها !! تحويه هذه الأماكن ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

هو مع عباده أينما كانوا ، لا يخفى عليه من أحوالهم خافية ، علم الله في كل مكان ، الله تعالى فوق مخلوقاته وعلمه في كل مكان ، علمه محيط بكل شيء ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما** ﴾ [الطلاق : ١٢] .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص الاستواء ونصوص العلو ونصوص المعية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ [النساء : ٨٧] ، **وقوله : ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾** [النساء :١٢٢] ، **وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ﴾** [المائدة : ١١٦] ، **وقوله : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾** [الأنعام : ١١٥] ، **وقوله : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾** [النساء : ١٦٤] ، **وقوله : ﴿ منهم من كلم الله ﴾** [البقرة : ٢٥٣] ، **وقوله : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾** [الأعراف : ١٤٣] ، **وقوله : ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾** [مريم : ٥٢] ، **وقوله : ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾** [الشعراء : ١٠] ، **وقوله : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾** [الأعراف:٢٢] ، **وقوله : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾** [القصص : ٦٥] ، **وقوله : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾** [التوبة : ٦] ، **وقوله : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾** [البقرة : ٧٦] ، **وقوله : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾** [الفتح : ١٥] ، **وقوله : ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب الله لا مبدل لكلماته ﴾** [الكهف : ٢٧] ، **وقوله : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾** [النمل : ٧٦] .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن

اهتدى بهداه ، أما بعد : فهذه الآيات ساقها الإمام بن تيمية رحمه الله للاستدلال بها على إثبات كلام الله وأن الله يتكلم ويُكلم ، وقال ويقول ، والنصوص القرآنية الدالة على إثبات صفة الكلام لله كثيرة جدا .

وأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص ، يؤمنون بأنه تعالى يتكلم ، ويكلم من شاء كيف شاء ، بل إنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء بما شاء وكيف شاء ، لم يحدث له الكلام بعد أن كان غير متكلم ، بل لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء .

فيوصف بأنه في القول ، بأنه يقول ، وبأنه يتكلم سبحانه وتعالى ، وأنه ينادي ، يوصف أنه ينادي ، المناداة ، ويناجي أيضا ، فهو سبحانه وتعالى يتكلم كلاما ، يُسْمِعه من شاء من عباده ، إذاً هو يتكلم بحرف وصوت ، يعني بكلمات ، فكلامه حروف وكلمات ، وسور وآيات .

فيجب الإيمان بذلك ، بإثبات صفة الكلام له سبحانه وتعالى ، مع نفي مماثلته تعالى لأحد من المخلوقات ، فكلامه وتكلمه ليس ككلام أحد من الخلق ، ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ .

وأن كلامه لتصعق منه الملائكة ، إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاء لقوله ، تعظيما له سبحانه ، ولعظم ما يسمعون من وقع كلامه سبحانه وتعالى ، ولكنه إذا شاء كلم عباده ، وجعل لديهم الطاقة والقدرة على سماع كلامه ، أو يكلمهم كيف شاء كلاما يتحمل ، كما كلم موسى ، ونادى الأبوين ﴿ **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة** ﴾ .

فكلامه سبحانه وتعالى ، كلامٌ مسموعٌ ، يسمعه من شاء من عباده ، وأهل البدع المعطلة ومن تبعهم ، ينفون الكلام عن الله ، ويقولون : لا يتكلم ــ سبحانك هذا بهتان عظيم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ يقولون : لا يتكلم ولا يكلم ، وأن هذا يستلزم التشبيه ، ويستلزم ما يستلزمه كلام المخلوق ، من كذا وكذا ، ومن الأدوات ، ومن المخارج ، فينفون حقيقة الكلام بمثل هذا ، ينفون حقيقة الكلام عن الله بمثل هذا التلبيس ، الذي هو من وحي إبليس البعيد العدو المبين ، وماذا يقول هؤلاء الضلال عن القرآن ؟ ، يقولون : إنه كلام مخلوق ، خلقه الله في الهواء ، لا في محل ، وعبر عنه جبريل ،، أو خلق كلاما في الهواء ، وتلقاه جبريل وبلغه . المهم أن كلام الله مخلوق ، إذا أراد سبحانه وتعالى أن يكلم أحداً ، خلق كلاما ، حتى إن خطاب الله لموسى ، وكلامه لموسى ، زعم الجهمية والمعتزلة أن الله خلق كلاما في الشجرة ، لا أن ما سمعه موسى هو كلام الله ، خلق كلاما في الشجرة ، ذلك الكلام هو ما قصه الله علينا في القرآن ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه** ﴾ ، ﴿ **وهل أتاك حديث موسى إذا ناداه ربه بالوادي المقدس طوى** ﴾ [النازعات : ١٦] والآيات في هذا كثيرة ، ومما قاله الله لموسى قال له : ﴿ **فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾ [طه : ١٢ــ١٤] إلى آخر ما قصه الله علينا من خطابه وكلامه لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام .

﴿ **وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى** ﴾ الآيات .

فعندهم أن هذا الكلام الذي سمعه موسى ، كلام مخلوق خلقه الله في الشجرة ؛ لا أنه كلام قائم به سبحانه وتعالى ؛ وأن موسى سمع كلام الله من الله ، وهذا مع أنه تحريف للكلم عن مواضعه ، فإن نفي الكلام عن الله غاية في التنقص لرب العالمين ؛ فإن الكلام كمال ، فالذي يتكلم أكمل من الذي لا يتكلم ، بل إنه سبحانه وتعالى عندما وبخ بني إسرائيل على عبادتهم العجل ، ذكر أن العجل لا يتكلم ، فكيف يعبدونه ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** ﴾ [الأعراف : ١٤٨] أو لم يروا انه لا يكلمهم ، وفي الآية الأخرى ﴿ **فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا** ﴾ [طه : ٨٨ ، ٨٩] فجعل من الدليل على بطلان إلهية العجل أنه لا يرجع إليهم قولا ، ولا يرد جوابا ، ولا يتكلم .

وقد دل على إثبات هذه الصفة ، أعني صفة الكلام ، بهذا التفصيل ، دل على ذلك هذه الآيات ، والقرآن والتوراة والإنجيل والزَبور ، الكل كلام الله ، كلها منزلة من عند الله ، التوراة التي أنزلت على موسى ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ، والزبور المنزل على داود ، والقرآن الكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب ، كلها كلام الله ، قال الله تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ ، [التوبة : ٦] ، وقال الله تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقا منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه** ﴾ [البقرة : ٧٥] فهو كلام الله .

وإضافة القرآن إلى الله ، هو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف ، كعلمه ، وسمعه ، وبصره ، وحياته ، ووجهه ، ويديه ، إضافة الكلام إلى الله

إضافة الصفة إلى الموصوف .

والمعطلة نفاة الكلام ، يقولون هذا الكلام مخلوق ، وهذا ما أنكره عليهم أئمة الإسلام ، وكفروا من قال : القرآن مخلوق ، وصبر الذين اُمتحنوا في أمر القرآن ، ليقولوا بأن القرآن مخلوق ، وعلى رأس هؤلاء الإمام أحمد إمام أهل السنة ، الذي امتحن بالضرب والسجن ليقول القرآن مخلوق ، فأبى على الجهمية وصبر على أذاهم ، فلا غرو أن حاز هذا اللقب إمام أهل السنة ، فرحمه الله وسائر أئمة الهدى .

هذه الآيات التي ساقها المؤلف للاستدلال على صفة الكلام لله ، أولها قوله : ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ وكلامه حديث ، يسمى حديثاً ، قال الله ﴿ **الله نزل أحسن**

الحديث ﴾ [الزمر : ٢٣] فالقرآن حديث ، الكلام يسمى حديثً**﴿: ومن أصدق من الله قيلا ﴾** والقيل والقول معناهما واحد أو متقارب.

﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ ، **﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا ﴾** أي لا أحد أصدق من الله حديثًوقولا ، ويوضح هذا قوله تعالى : **﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾** تمت ، فأخباره تعالى غاية في الصدق ؛ فهو أصدق الصادقين ، فلا أحد أصدق من الله ، وهذا معنى : **﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾**.

﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ ، وشرائعه ، وأوامره ، ونواهيه ، كلها عدل ، **﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾** لا مبدل لكلماته ، كلمات الله نوعان :

كلمات كونية : وهي ما يكون به الكائنات ، كما قال : **﴿ إنما قولنا**

لشيء إذا أرادناه أن نقول له كن فيكون ﴾[النحل : : ٤٠] ، كما قال لليهود العتاة المتمردين : **﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾** [الأعراف : ١٦٦] .

وكلمات شرعية : وهي كلماته المنزلة على رسله ، كلامه الذي أنزل على رسله ، وهي كتبه ، ومنها ــ بل وأعظمها وأشرفها ــ القرآن ، فالقرآن كلامه ، وكله من كلماته الشرعية .

وكلماته الشرعية والكونية ، كلها كلامه ، ليس منها شيء مخلوقا ؛ ولهذا جاء التعوذ بكلمات الله في غير ما حديث ، ((أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق)) ، فاستدل العلماء بمثل هذا على أن كلام الله غير مخلوق .

ومن هذه الآيات **﴿ وإذ قال الله يا عيسى ﴾** في غير موضع **﴿ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ﴾** ، **﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾** ، **﴿ وإذ قال الله ي ا عيسى ءأنت قلت للناس ﴾** ، **﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قا لوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنت صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم ﴾** إلى آخر القصة ، كلها فيها إضافة القول إلى الله ، ومنها قوله تعالى : **﴿ وكلم الله موسى ﴾** كلمه ، خاطبه ، خاطب بكلام ، بأخبار وبأوامر .

﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾ ، ناداه ، **﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾** إذًا الله تعالى نادى موسى ، و ناجاه ،

النداء : هو الخطاب بصوت رفيع ، و المناجاة : هو الخطاب بصوت خفي ، فموسى هو كل يم الله ، وهو نجي الله ، كليم مكلم كلمه الله ، وناجاه ، ناداه وناجاه .

إذًا فالله تعالى موصوف بالمناداة والمناجاة ، والعباد يوصفون بالكلام والتكليم ، و بالمناداة والمناجاة ، وليس المناداة كالمناداة ، ولا المناجاة كالمناجاة ، ولا التكليم كالتكليم .

وهذا كله في القرآن ، الله ذكر هذه المعاني وأضافها للمخلوق ، يعني وصف المخلوق بالتكليم وبالمناداة وبالمناجاة ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ [الحجرات : ٤] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم** ﴾ [المجادلة : ١٢] ، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾ [المجادلة : ٩] .

والمقصود أن كل ما يوصف الله به من ذلك ، ليس مثل ما يوصف به المخلوق ، ﴿ **وكلم الله موسى** ﴾ كلم الله ، بالرفع فاعل ، موسى مفعول هو المكلم ، وتكليما مصدر مؤكد يرفع ويدفع احتمال المجاز ، ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ .

والمعطلة يحرفون هذه الآية ، لكن هيهات ، يقولون : وكلم اللهَ ، ولو كانت الآية هك ذا بهذه الصيغة ، يكون التكليم ممن ؟ من موسى ، وكلم اللهَ ، يعني موسى كلم الله .

ولو كان الأمر كذلك أفيكون لموسى خصوصية ؟ لا ، كل أحد يمكن أن يكلم الله ، أنتم تكلمون الله ؟ نعم تناجون الله ، إذا قام أحدكم في الصلاة ، فإنه

يناجي ربه ، والداعي يكلم ربه ، يكلمه يقول : يا رب ، والعباد يكلم أحدهم ربه ، ويناجي أحدهم ربه .

لكن خصوصية موسى بأن الله كلمه ، ولهذا المخطيء المعطل هذه محاولة منه لإبطال هذه الأدلة ، يقول : وكلم اللهَ ، ولكن هيهات ، كلام الله محفوظ في الصدور ، وفي المصاحف ، ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ [فصلت : ٤٢] .

وأنظر إلى هذا التكليم ، فقد بين الله أنه كان مناداة ومناجاة ، كان مناداة وكان مناجاة كما في آية سورة مريم ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا** ﴾ فالله نادى موسى ، ونادى الأبوين من قبل لما عصيا ، آدم وحواء ، وخالفا أمر الله ، وا رتكبا ما نهيا عنه ، ﴿ **فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ .

وكذلك سبحانه وتعالى ينادي في المستقبل ، ينادي متى ؟ ينادي يوم القيامة ، ينادي المشركين توبيخا لهم ﴿ **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾ [القصص : ٦٢] .

ويخاطب الرسل : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [المائدة : ١٠٩] .

((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينهم ترجمان)) .

فالله تعالى إذًا لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء بما شاء وكيف يشاء ،

ويكلم من شاء من عباده من ملائكته ، ورسله ، وعباده ، وسائر الخلق ، يكلم من شاء سبحانه وتعالى .

ومن كلامه الكتب ، ومنها القرآن ، فالقرآن كلام الله ، ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ لكن كلام الله هو القرآن ، كلام الله كيفما فسرنا هو كلام الله ، محفوظا في الصدور ، ومسموعا بالآذان ، ومقروءًا بالألسن ، ومكتوبا في المصاحف ، كله كلام الله .

لكن كلام الله يسمع ممن ؟ يسمع من القارئ ، فقوله تعالى : ﴿ **حتى يسمع كلام الله** ﴾ يسمعه إما من الرسول ، أو من بعض المؤمنين ، ﴿ **حتى يسمع كلام الله** ﴾ .

أما الذي سمع القرآن كلام الله من الله فهو جبريل ؛ لأنه هو الموكل بالوحي ﴿ **وإنه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ [الشعراء : ١٩٢ــ ١٩٤] ، فجبريل الروح الأمين سمع كلام الله من الله ، ومحمد عليه الصلاة والسلام سمع القرآن من جبريل ، سمع كلام الله الذي نزل به جبريل من جبريل ، والصحابة سمعوا القرآن من الرسول ، ويسمعه بعضهم من بعض ، وهكذا ، وهو في كل هذا هو كلام الله

هذا لعله أبرز ما يتعلق بهذه الآيات ، وكلها تدل على إثبات كلام الله ، وقد جاءت في أساليب ، وبألفاظ مختلفة ، ولها دلالاتها كما علمنا .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [النمل : ٧٦] .

وقوله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، **وقوله : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** ﴾ [الحشر : ٢١] ، **وقوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق**

ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠١ــ ١٠٣] .

الشرح :

وهذه الآيات فيها الإخبار عن القرآن ، بأنه منزل من عند الله ، والآيات التي فيها الإخبار عن نزول وتنزيل وإنزال القرآن كثيرة جدا **﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾** .

﴿ إن هذا القرآن يقص ﴾ ، والقرآن يوصف بأنه يقص ، وأنه يفتي ، وأنه يبشر ، وينذر ، ويهدي ، كل هذا قد جاء في القرآن : **﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾** [الإسراء : ٩ــ١٠] .

فالقرآن يوصف بأنه يقص لاشتماله على القصص ، على أخبار الأنبياء مع أممهم ، وعلى الأوامر ، ما فيه من الأوامر والنواهي ، كل هذا يقصه على العباد **﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾**

.....

هنا جاء مقيد ، كما قص عليهم ، ما قص من أمر المسيح عليه السلام ومن أمر ما حُرم عليهم **﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾** [النحل : ١١٨] . وهذه الآيات التي فيها إخبار عن نزول القرآن ، تؤكد ما مضى من أن القرآن كلام الله ؛ لأنه منزل من الله **﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾** [غافر : ٢] ، **﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾** [الزمر : ١] **﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾** ،[فصلت : ٢] **﴿ قل نزله روح القدس من ربك ﴾** [النحل : ١٠٢] ، **﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ﴾** [الشعراء : ١٩٢] .

إذًا القرآن جاء من عند الله ، من الله ، فابتداء نز وله من الله ؛ لأنه كلامه ، فلابد أن يكون ابتداء نزوله منه تعالى ، **﴿ تنزيل الكتاب من الله ﴾** ، **﴿ قل نزله روح القدس من ربك ﴾** .

كما أن هذه الآيات ، يستدل بها على أن القرآن كلام الله ، منزل منه سبحانه ، فإنه يستدل بها على علوه ؛ لأن النزول إنما يكون من علو . إذًا القرآن نزل من عند الله ، من الله ، وهو تعالى في العلو كما تقدم ، وتقدم لكم الأدلة على علوه . وذِكْرُ الأدلةِ على أن القرآن كلام الله ، وهذه الآيات التي فيها

الإخبار عن نزول القرآن من الله ، تؤكد الأمرين جميعا ، تؤكد أن القرآن كلام الله ، وأن الله تعالى له العلو فوق جميع مخلوقاته .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة :٢١، ٢٢]

، وقوله : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٣٥] **، وقوله : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾** [يونس : ٢٦] **، وقوله : ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾** [ق : ٣٥] .

وهذا الباب في كتاب الله كثير ، ومن تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين طريق الحق .

الشرح :

وهذه الآيات ختم بها المؤلف رحمه الله ما أورده من النصوص القرآنية الدالة على إثبات صفات الرب سبحانه وتعالى ، وهي النصوص الدالة على إثبات الرؤية له تعالى ، يعني رؤية العباد له ، وهذه مسألة كبيرة أيضا ضل فيها كثير من الطوائف ، ووفق الله للحق فيها وغيرها أهل السنة والجماعة .

ومسألة الرؤية داخلة في مسائل الصفات ، أي في باب صفات الرب ، هل الله يُرى أو لا يُرى ؟ .

يقول المعطلة أنه تعالى لا يُرى .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما دل عليه الكتاب والسنة ، من أنه تعالى يُرى بالأبصار ، يراه من شاء الله من عباده ، وقد دلت النصوص على أن المؤمنين يرونه يوم القيامة في الجنة ، وفي عرصات القيامة .

ومن هذه الأدلة قوله تعالى :**﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾**

﴿ ناضرة ﴾ ، يعني بهية ، حسنة ، مشرقة .

﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ ، يعني تنظر إلى ربها ، فهي في نفسها بهية

مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وجوه ناضرة من النضارة ، وهي الحُسْن ، ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ ، وهي وجوه أولياء الله يوم القيامة ، وجوه المؤمنين .

﴿ **ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾ [القيامة:٢٤ــ ٢٥] ، فقوله :﴿ **ناظرة** ﴾ من النظر بالبصر .

و(نَظَر) يأتي : متعديا بنفسه ، ومتعديا بفي ، ومتعديا بإلى .

فالمتعدي بنفسه : بمعنى الانتظار ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله** ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، بمعنى هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا تأويل ما وعدوا به .

وأما المتعدي بفي : فهو بمعنى التفكر، ﴿ **أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] ينظروا في ، يعني يتفكروا ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ **أو لم يتفكروا في أنفسهم** ﴾ [الروم : ٨] .

أما المتعدي بإلى : فهو بمعنى نظر العين ، تقول : نظرت إلى كذا ، يعني ببصري ، نظرت إليه بعيني ، بالبصر ، كما قال تعالى : ﴿ **أفلا ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينها** ﴾ [ق : ٦] .

فهذه الآيةِ ، هي أدل دليل على إثبات الرؤية لله تعالى ، يعني إثبات رؤية المؤمنين لربهم ، إثبات أنه تعالى يُرى .

ومن الأدلة على ذلك ، في الكفار ، قوله تعالى :﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون** ﴾ ، وهذا مما توعد الله به المكذبين ، توعدهم بأنهم يومئذ ، يعني يوم القيامة ، يوم يصلون نار جهنم ، ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم يومئذ عن ربهم لمحجبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون** ﴾ [المطففين : ١٤ ــ ١٧] .

فتهديد الكافرين بحجبهم عن ربهم ، يدل على أن المؤمنين بخلاف ذلك ، وأنهم يرونه سبحانه ، فلو كان المؤمنون لا يرونه ، لما كان بينهم وبين المكذبين فرق .

ولو كان تعالى لا يُرى البتة ، لما كان في قوله : ﴿ **كلا إنهم يومئذ عن ربهم لمحجبون** ﴾ لما كان في هذا الوعيد فائدة ؛ لأن الكل محجوب ؛ والكل يستحيل أن يرى الله ، بل الله يستحيل أن يُرى عند المعطلة .

ومن الأدلة القرآنية على إثبات الرؤية ، قوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسن ى وزيادة** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** ﴾ ، وقد جاء تفسير الزيادة والمزيد ، بأنه النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى .

﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ ، الحسنى : الجنة ، وزيادة وأيَّ زيادة ! زيادة عظيمة ألا وهي نظرهم إلى وجهه الكريم .

وفي الدعاء المأثور ((وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم)) ، نسأله تعالى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجه الكريم .

هذه أظهر الآيات التي يستدل بها على رؤية العباد لربهم سبحانه وتعالى ، وهناك أدلة منها قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وهي ما يتمسك به المعطلة ، فهم يتمسكون بهذه الآية ، ويقولون : ﴿ **لا تدركه الأبصار**﴾ يعني لا تراه الأبصار ، ثم يحرفون الآيات الأخرى .

وهذه الآية التي يحتجون بها على نفي الرؤية ، هي حجة عليهم ؛ لأن الصحيح أن الإدراك المنفي هو الإحاطة ، فمعنى قوله تعالى :﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ ، يعني لا تحيط به الأبصار ، وذلك لكمال عظمته سبحانه وتعالى .

ونفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية من غير إحاطة ؛ إذ لو كان لا يُرى

مطلقا ، لما كان لنفي الإحاطة ــ وهو المعنى الخاص ــ لما كان له فائدة ، فنفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية ، لكن من غير إحاطة .

فكانت الآية التي يستدل بها المعطلة على نفي الرؤية ، هي دليلاً عليهم.

ولعل الإمام ابن تيميةَ تعمد هذا الترتيب وتحراه ، وهو أنه ختم هذه النصوص التي أوردها من القرآن على إثبات صفات الرب ، مما يحقق للعباد معرفتهم بربهم ، فنحن عرفنا ربنا بأسمائه وصفاته ، وذلك بما أنزله في كتابه ، وبلغه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيحصل للعباد في هذه الحياة العلم بربهم ، ولكنه علم من غير إحاطة ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾ [طه : ١١٠].

ففي الدنيا ، العباد لا يرونه ، لكنهم يعلمون علما من غير إحاطة ، ويوم القيامة يرونه ، فيجتمع لهم العلم الذي في قلوبهم والرؤية له تعالى بأبصارهم ، هذه غاية ، فكأن الإمام ابن تيميةَ في إيراد هذه الآيات في هذا الموضع ، كأنه ينبه على أن رؤية العباد لربهم غاية لهم ، فتتوق نفوسهم إلى النظر إلى وجهه الكريم ، بعد أن عرفوه في الدنيا بأسمائه وصفاته ، كما علَّمهم .

فإنه تعالى يتمم هذا لأوليائه يوم القيامة ، بأن يجعلهم ينظرون إليه ، وأن يكشف الحجاب لهم فينظرون إليه ، وذلك غاية نعيمهم ، فلا يلتفتون إلى شيء مع نظرهم إليه سبحانه وتعالى .

وفي النهاية ، يقول : (وهذا باب واسع) يعني النصوص الدالة على أسماء الرب وصفا ته ، وأفعاله ، مما يورث العلم بالله ، باب واسع .

(من تدبره) من تدبر هذه النصوص ، تبين له طريق الحق ، وهدي لطريق الحق ، فتدبر القرآن هو سبيل العلم النافع ، وهو الطريق لمعرفته

سبحانه وتعالى المعرفة الصحيحة ؛ فإن العقول لا تستقل بمعرفته ، وغاية ما تحصله العقول المعرفة الإجمالية ، أما معرفة أسماء الله وصفاته على التفصيل ، فلا سبيل للعقول إلى ذلك ، وإنما طريق العلم بذلك هو ما جاءت به الرسل .

فرحم الله الإمام ابن تيمية ، على هذه العناية العظيمة ، فقد يقول بعض الناس : إنه أسهب وأكثر ، لكن المقام جدير بالعناية ، فنصوص الإثبات ليست قليلة في القرآن ، في موضع واحد ، أو موضعين ، أو ثلاث ، بل هي كثيرة جدا . فهذه الآيات التي ساقها ، هي قليل من كثير .

اقرأ أي سورة تجد فيها من إثبات أسمائه وصفاته وأفعاله الكثير والسورة الجامعة لمضمون القرآن كله هي سورة الفاتحة ، وكيف صدِّرَتْ : ﴿ **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين** ﴾ ،هذه الآيات الثلاثة فيها جماع أسماء الرب وصفاته ، ولكن على سبيل الإجمال .

والله الموفق ، وصلى الله على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال ، رحمه الله تعالى :

فصل

ثم في سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه .

وما وصف الرسول ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك .

فمن ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)) متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته ...)) الحديث ، متفق عليه ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة)) متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب)) حديث حسن [رواه أحمد وغيره] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها رجله ــ وفي رواية قدمه ــ فينزوي بعضها إلى بعض فتقول : قط قط)) متفق عليه .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه .

تقدم في بيان مذهب أهل السنة والجماعة ، في صفات الرب سبحانه وتعالى ، وأسمائه ، أنهم يوصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، إثباتا ونفيا .

فيثبتون له ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل .

ومضمون هذا أنه يجب الإيمان بما جاء في القرآن من أسماء الرب وصفاته ، وما جاء في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولهذا لما أورد الإمام ابن تيمية كثيرا من النصوص القرآنية المتضمنة لكثير من أسماء الله وصفاته ، مما يدخل في القاعدة المتقدمة ، وهي أنه سبحانه وتعالى موصوف بالإثبات والنفي ،، يأتي بعد ذلك بذكر بعض النصوص النبوية المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته ، فإن السنة هي الأصل الثاني في الاستدلال ومعرفة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإن الله أنزل على نبيه الكتاب والحكمة ، الكتاب : وهو القرآن ، والحكمة : هي السنة ، سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكلاهما وحي ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي** ﴾ [النجم : ٣ــ٤] .

فكل ما يبلغه عن الله ، سواء كان قرآنا أو سنة ، فإنه وحي أوحاه الله إليه ، وكل منهما منزل ، كما في تلك الآية ﴿ **وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ [النساء : ١١٣] .

فيجب الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته .

كما يجب العمل بما أمر الله به في القرآن ، والانتهاء عما نهى عنه سبحانه ، وكذلك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه ؛ فإنه يجب العمل بأوامره صلى الله عليه وسلم ، بأوامره ، ونواهيه ، وطاعته في أمره ونهيه .

وإنكار السنة مطلقا ودعوى أننا لسنا مكلفين إلا بالقرآن ، كفر وضلال ومخالفة للقرآن ؛ فإن الله تعالى أمر بإتباع الرسول ، وبطاعة الرسول ، وأخبر أنه أنزل الحكمة على الرسول ، كما تقدم .

قال الشيخ رحمه الله إن : (السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه) ، فالسنة ، والمراد بالسنة في هذا السياق ، سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، هذا هو المراد بالسنة ، إذا ذكر الكتاب والسنة ، فقيل : الكتاب والسنة ، فالمراد بها سنة الرسول ، التي تشمل أقواله وأفعاله وتقريراته .

فسنة الرسول القولية والفعلية والتقريرية : هي تبين وتفسر القرآن ، وتدل على القرآن ، وتعبر عنه .

وهذا هو الأغلب على سنة الرسول ، أنها بيان . ومن السنة ما يتضمن أخبارا وتشريعات ليست في القرآن ، قال الله تعالى في البينات والزبر :

﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ــ أي القرآن ــ **لتبين للناس ما أنزل عليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ [النحل : ٤٤] ، فالرسول عليه الصلاة والسلام قد فسر القرآن وبينه ، ففسر ما أشكل من ألفاظه ؛ فإن كثيرا من ألفاظه يعرفها المخاطبون باللسان العربي ؛ كما قال ابن عباس : (التفسير على أربعة أوجه :

- تفسير تعرفها العرب من كلامها .
- وتفسير لا يعذر أحد بجهله .
- وتفسير تعلمه العلماء .
- وتفسير لا يعلمه إلا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب) .

فللرسول صلى الله عليه وسلم بين القرآن ، فالسنة فيها تفصيل ما أجمل في القرآن ، وتقي ي د المطلق ، وتخصيص العام .

وهذا الموضوع يطول الحديث عنه ، وهو موضوع طويل الكلام فيه وتفصيله :

أحكام الصلاة ، أكثرها إنما جاءت به السنة ، أعني أحكامها التفصيلية ، صفتها ، أفعالها ، أقو الها ، مواقيتها .

الصيام ، أحكام الزكاة ، أنصباء الزكاة ، الأموال التي تجب فيها الزكاة ، الحج ، كثير من الأحكام إنما عرفت تفصيلاً ، بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

والمقصود أن ما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به الله في الأحاديث الصحيحة التي تلقاها أهل العلم والمعرفة ــ وهم أهل الحديث ، أهل ذلك الشأن ــ تلقاها أهل المعرفة بالقبول ،وجب الإيمان بها كذلك .

كما يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ، يجب الإيمان بما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه في الأحاديث الصحيحة التي تلقاها

أهل العلم بهذا الشأن بالقبول ، يجب الإيمان بها ، سواء كانت من قبيل المتواتر أو الآحاد .

فأهل السنة والجماعة يقبلون كل ما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وأما أهل البدع ، فإنهم بناء على أصولهم الفاسدة ــ نفي صفات الرب سبحانه ــ يردون نصوص الصفات ، إما بحجة أنها آحاد ، والآحاد يزعمون أنه لا يحتج بها في العقائد ، وإن كانت متواترة ، قالوا إنها ظنية اللفظ ، أي ألفاظ ظنية لا تفيد اليقين ، فهم يدفعون هذه النصوص ويردونها ، زاعمين إما أنها لم تثبت ، أو أنها ظنية الدلالة .

أما أهل السنة والجماعة ، فإنهم يوصفون الله بكل ما وصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ، مما صح عنه صلى الله عليه وسلم بالأحاديث التي تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول ، ويؤمنون

بذلك ، وهذا هو الواجب ، فإن الواجب الإيمان بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما صح عنه ، كما يجب الإيمان بما في القرآن .

وقد أورد الإمام ابن تيمية في هذا الفصل أمثلة لهذه الأحاديث ، وهذه الأحاديث التي أوردها الإمام ابن تيمية ، منها ما دل على صفات قد دل عليها القرآن كالتكليم في قوله صلى الله عليه وسلم : ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان)) .

أو العلو ؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟)) . هذا مثل قوله سبحانه : ﴿ **ءأمنتم من في السماء** ﴾ ، وكقوله للجارية : ((أين الله ؟)) ، قالت : في السماء .

للإثبات بعض الأسماء مع تفسيرها ، كالأول ، والآخر ، والظاهر ،

والباطن ، كما في حديث أبي هريرة في الدعاء الذي كان النبي يدعو به ، يقول : ((اللهم رب السماوات والأرض ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، ..)) إلى قوله : ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)) .

أقول : إن كل هذه الأحاديث ، إنما دلت على مثل ما دل عليه القرآن فتكون هذه الصفات قد تطابقت عليها دلالة القرآن ودلالة السنة ، فتكون ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ، إجماع أهل السنة والجماعة ،، ومثل ذلك الرؤية ؛ فقد ذكر الشيخ في آخر ما أورده من الأحاديث ، قوله صلى الله عليه وسلم : ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا أيضا مما ثبت بالكتاب ؛ فرؤية العباد لربهم قد دلت عليها نصوص من القرآن ، ودلت عليها السنة المتواترة ، وأجمع على ذلك سلفنا .

وهذه النصوص ــ أعني تلك النصوص التي دلت على مثل ما دل عليه القرآن ــ سنكتفي فيها بالإشارة ، ونتأمل جميعا ما أورده الشيخ من النصوص الدالة على صفات لم يأت ذكرها في القرآن ، وهي هذه الأحاديث التي قرأناها ، وألاحظ أن الشيخ رحمه الله ، أعني الإمام ابن تيمية رحمه الله ، قد قدم هذه الأمثلة ، وساقها تباعا ، وهي هذه الأدلة : حديث النزول ، الفرح ، الضحك ، حديث القدم .

فهذه الصفات إنما ثبتت في السنة ، فليس في القرآن ذكر لهذه الصفات فيما أعلم أبدا .

وأول ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)) وهذا

الحديث رواه جمع غفير من الصحابة ، وعده أهل العلم من المتواتر ؛ فقد تواترت السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام بإثباته نزول الرب تعالى في آخر الليل .

(ينزل ربنا) يؤمن بذلك أهل السنة والجماعة ، يثبتون هذه الصفة ، يثبتون نزول الإله ، ويؤمنون به ، مع نفي مماثلته لنزول الخلق ، ونفي العلم بالكيفية ، فيقولون أنه تعالى ينزل حقيقة ، فلو قلنا : إنه ينزل حقيقة ، فلا يعني أنه ينزل مثل نزول العباد ، بل ينزل كيف شاء ، والنزول معلوم والكيف مجهول ، ينزل ، ونزوله يتضمن دنو اً وقرباً ، ولكن ليس كنزول العباد ، فالله أعلم بكيفيته ، لا كما يقول المعطلة : تنزل رحمته ، أو أمره ، أو ينزل ملك ، فهذا التحريف الذي ينكره أهل السنة والجماعة ويرفضونه ، والله قد ذم اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه ، وهذا من هذا .

فالرسول يقول : ((ينزل ربنا)) ، والأصل الحقيقة ، أنه ينزل ربنا ، ويؤكد الحقيقة ، أنه ليس المراد أمره أو رحمته أو غيره ، يؤكدها قوله : ((فيقول : من يدعوني)) هذا يمنع من احتمال المجاز ، ((من يدعوني فلأستجيب له)) هل يجوز أن يقول الملك من يدعوني ؟ ، هل تقول الرحمة من يدعوني فلأستجيب له ؟ ((من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني)) ، فأهل السنة مجمعون على أن النزول من فعل الرب تعالى ، وأنه هو الذي ينزل حقيقة ، ولكن لا كنزولنا ، ولا يقاس عليه .

وهذا من أفعاله ، النزول صفة فعلية ، يكون بمشيئته ،والمعطلة يلبسون

على الجهال ويقولون : إن هذا يتضمن أن الله يزول عن مكانه ، فهذه من الشبهات التي يشبهون بها على الجهال .

ولهذا قال بعض الأئمة : إذا قال لك الجهمي : أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء . ما أحسن هذا الرد البسيط المفحم ، أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء ، استوى على العرش كيف شاء ، يجيء يوم القيامة للفصل بين عباده كيف شاء ، فعال لما يريد ، أما إذا قيل أنه لا ينزل ، أي نفي جميع صفاته فهذا معناه فيه حجر على الرب ، وأنه لا يفعل ما يريد ، ما يقدر ، وفيه تعجيز للرب ، وتنقص ، فالذي يفعل أكمل ممن لا يفعل .

وكذلك القول في الفرح ، والضحك ، فيجب الإيمان بالفرح والضحك ، أن الله يفرح ، وفرحه تعالى يتضمن محبته بما يفرح به ورضاه به وعنه ، يفرح كما في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، ((لله أشد فرحا)) يفرح حقيقة ، وإذا فسرنا فرح العباد بأن فرحهم لذة وسرور بالمحبوب أو نحوه ، فنقول هذا صفة المخلوق ، فاللذة لا نضيفها ، ولكنه فرح يتضمن الم حبة ، فقوله : ((لله أشد فرحا بتوبة عبده)) هذا يتضمن أن الله يحب توبة التائبين ، بل يفرح بتوبة التائبين ، والحديث مشهور طويل فيه قصة سيقت على سبيل المثل ، ((لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته أضلها في أرض فلاة عليها

طعامه وشرابه حتى أيس منها فأوى إلى أصل شجرة ، قد أيس منها ، فبينما هو كذلك ينتظر الموت إذا هي عند رأسه ، فأخذ بخطامها وقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح)) أيس من الحياة ، وفجأة يجد راحلته عند رأسه واقفة وعليها طعامه وشرابه ، انظروا إلى هذا التصوير في حدود معلومنا ، وإلا فشأن الله أعظم ، لله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا

براحلته .

فيجب الإيمان بأن الله تعالى يفرح بتوبة التائبين ، فالفرح إذاً صفة يجب إثباتها له ، وأنها لا تماثل فرح المخلوق ، ولا نعلم كونها وكيفيتها .

وهكذا الضحك ، وقد جاء في أحاديث عدة ، ومنها هذا الحديث : ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة)) ، وذلك أنه يجاهد المؤمن في سبيل الله فيقتل ، فيسلم القاتل ثم يستشهد ، فكلاهما يدخل الجنة ، القاتل والمقتول .

الأول جاهد في سبيل الله فقتل ، والثاني القاتل ، يؤمن فيجاهد فيقتل ، كلاهما يدخل الجنة ، فالله يضحك إليهما ؛ لأن أمرهما عجب ، يجتمعان في الجنة ، القاتل والمقتول ، وضحكه إليهما يتضمن رضاه عنهما ،ولا أقول أن هذا تفسير للضحك ، بل هو تعالى يضحك كيف شاء ، وهو معنى يختلف عن معنى الفرح ، فيجب إثبات ذلك كله ، مع عدم التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية .

وإذا كان العلم بالكيفية مستحيلاً ، فلا يجوز التفكر بكيفية نزول الرب ، أو فرحه ، أو ضحكه ، لا تفكر بالكيفية ؛ لأنه لا سبيل إلى أن تعلم ذلك ، لا تفكر ، لا تتخيل ، بل إيمان وإثبات لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه ، إيمان وإثبات لما وصف به الرسول أعلم الخلق بالله ، لما وصف به ربه ، مع نفي التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية .

وأما الحديث الرابع ، فهو حديث قال عنه الشيخ : إنه حديث حسن ، رواه الإمام أحمد وغيره ، من حديث طويل ، والشيخ اقتصر على الشاهد ، كما اقتصر على الشاهد في الحديث الثاني ، ((عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب))

الشاهد في هذا المقام ؟ فيظل يضحك ، وفيه دلالة على إثبات العجب وإثبات الضحك وإثبات النظر ، ثلاثة صفات: العجب ، والنظر ، والضحك ، ولكن العجب والضحك صفتان كذلك ثابتتان في القرآن كما تقدم ، وإن كان العجب لم يسبق له ذكر ، ولكنه ثابت ، ولكنه لم يمر في الشواهد ، لكن من الأدلة القرآنية على إثبات العجب ، قوله تعالى : ﴿ **بل عجبتُ ويسخرون** ﴾ [الصافات : ١٢] في

قراءة صحيحة سبعية ، قراءة حفص التي نقرأ بها ﴿ **بل عجبتَ ويسخرون** ﴾ ، والقراءة الأخرى : ﴿ **بل عجبتُ ويسخرون** ﴾ فالضمير يعود لمن ، إلى الله تعالى ﴿ **بل عجبتُ ويسخرون** ﴾ .

كما دل على صفة العجب قوله تعالى : ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم ءإذا كنا ترابا ءأنا لفي خلق جديد** ﴾ [الرعد : ٥] .

كذلك هذا الحديث من الأدلة على إثبات صفة العجب ، فهو تعالى يوصف بالعجب على المنهج المقرر ، إثبات مع نفي التمثيل ، ونفي العلم بالكيفية ، وليس عجبه لجهله بالأسباب ، فهذا شأن المخلوق ، المخلوق هو الذي يعجب أحيانا لجهله بالسبب ، كما يقال : إذا ظهر السبب بطل العجب ، هذا في عجب المخلوق ، أو في بعض عجب المخلوق .

((عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خير ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب)) ، القنوط شدة اليأس ، بينما العباد قانطون أزليون ، والأزل الشدة ، والأزل هو الذي قد بلغت به الشدة حدا بعيدا استولى عليه اليأس ، فالأزل والقنط معناهما متقارب .

(ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب) مع قرب الفرج ، وقرب تغيير الله للأحوال من الشدة إلى الرخاء ، من القحط إلى

الخصب ، ففي هذا الظرف الله تعالى يعجب من هذه الحال ، فيظل يضحك كيف شاء سبحانه وتعالى ؛ فإن العباد إذا طالت عليهم الشدة ، استولى عليهم اليأس واشتد ، وآل بهم الأمر على القنوط ، كما قال تعالى : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير** ﴾ [الروم : ٤٨ ــ ٥٠] .

الحديث الخامس ، قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة ــ سبحانه وتعالى ــ فيها رجله ــ وفي رواية عليها قدمه ــ فينزوي بعضها إلى بعض فتقول : قط قط)) والحديث متفق عليه .

وفي هذا الحديث إثبات الرجل والقدم له سبحانه وتعالى ، وأهل السنة يثبتون لله ما جاء في هذا الحديث على حقيقته ، كما يثبتون سائر الصفات ، كما يثبتون اليدين والعينين له سبحانه وتعالى .

ويقولون أن له تعالى قدمين ، كما جاء في الأثر المشهور عن ابن عباس ، في تفسير الكرسي أنه موضع القدم ، أي قدمي الرب سبحانه وتعالى ، والقول في القدمين واليدين واحد ، لا مجال في التفريق ، وأهل السنة لا يفرقون ، وأهل البدع لا يفرقون كيف ذلك ؟ .

أهل البدع ينفون كل ذلك ، كما ينفون حقيقة نزوله واستوائه ، ينفون كذلك حقيقة الفرح ، والضحك ، والعجب ، وينفون اليدين والعينين والوجه

والقدم ، ينفون ذلك كله ؛ لأن مبدأهم أن إثبات الصفات لله يستلزم التجسيم ، ويستلزم التشبيه وما أشبه ذلك .

ثم إن كانت نصوصٌ قرآنية ، لا يمكن أن يدفعوها بعدم الثبوت ، لكن يقفون منها ــ كما تقدم ــ أحد موقفين :

إما التفويض : بأن يجروها ألفاظا من غير فهم لمعناها ، ومن غير تدبر ، زاعمين أنها لا تدل على شيء .

أو التأويل : بحملها على معانٍ بعيدة .

أما الأحاديث ، فالأمر عندهم فيها أوسع ، فإنها ، كما ذكرت :

إن كانت آحاد قالوا هذه آحاد ، ودفعوها من أول الأمر دون أن ينظروا فيها ، ودون أن يحكموا في متنها تفويضا أو تأويلاً ، فالأمر عندهم لا يحتاج ، بل يدفعونها ، ويردونها .

وإن كانت متواترة وقفوا منها موقفهم مما جاء في القرآن .

فالجهمية والمعتزلة ، وكذلك الأشاعرة ، هذه الطوائف هم يتفقون على نفي هذه الصفات التي دلت عليها السنة الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، كما نفوا ما جاء في القرآن .

بالنسبة للفرح والضحك يمكن أن يفسره بالرضا ، ثم الرضا له تفسير معروف عندهم ، عند نفاة الصفات ، فهو إرادة الإحسان ، أو نفس الإحسان بما يخلقه الله من النعم .

والغضب هو إرادة الانتقام ، أو هو نفس الانتقام مما يخلقه الله من العقوبة .

أما الرجل والقدم ، فالذين يؤولون يقولون : أنها المراد بها جماعة من

أهل النار ، وهو أن جهنم ما تزال يلقى فيها ، حتى يلقي الله عليها جماعة من أهل النار ، وهم فوج كثير ، حتى يغطيها يملأها به .

وهذا خلاف ما فهمه السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ، وخلاف ما يدل عليه السياق ، ثم إن الرواية الأخرى توضح وتدفع هذا التحريف ، وفي رواية القدم ، ومضمون هذا الحديث قد جاء أصله في القرآن ، ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ [ق : ٣٠] فهذه الآية شاهدة لما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكلام الله وكلام رسوله يصدق بعضه بعضا .

((لا تزال جهنم يلقى فيها)) يعني يلقى فيها أهلها ، ﴿ **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير** ﴾ [الملك : ٨] ، أهل جهنم يلقون فيها إلقاء ، يطرحون طرحا ، ﴿ **أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة** ﴾ [فصلت : ٤٠] .

((لا تزال جهنم يلقى فيها)) ، يعني أهلها ، وما يعبد من دون الله ، ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

فقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال جهنم يلقى فيها)) يعني بتقى وتستمر ، تطلب المزيد ، قوله : ((لا تزال)) هذا الفعل يدل على الاستمرار.

((يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها رجله)) في بمعنى على ، كما في الرواية الأخرى : ((فيها رجله)) ، وفي رواية ((عليها قدمه)) .

((فينزوي بعضها إلى بعض)) تتضايق ، وينزوي بعضها إلى بعض

، فتمتليء ، ((فتقول : قط قط)) يعني يكفي ، يكفي ، نعوذ بالله من النار .

وفي هذا تحقيق لوعده سبحانه وتعالى ؛ فإنه قد وعد الجنة والنار بملئهما ، ((إذ قال للجنة : أنت رحمتي ، ارحم بك من أشاء ، وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وإن علي لكليكما ملؤها)) أو كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . فالنار يضيقها الرب حتى تمتلئ .

وأما الجنة ، فإذا دخل أهل الجنة يبقى فيها فضل ، فهي واسعة مع كثرة من يدخلها من عباد الله ، فينشيء الله لها أبواب ، فيسكنهم الجنة برحمته سبحانه وتعالى .

أما النار ، فإنه لا يعذب بها إلا المستحقون لعذابه ، نعوذ بالله من عذاب الله .

فالمقصود أن هذه الصفات التي تضمنتها هذه الأحاديث ، كلها إنما ثبتت في السنة ، وليس في القرآن ، فيما أعلم ما يدل عليها ، أما ما بعد هذه الأحاديث ، إلى آخر ما أورده الشيخ ، فكلها قد دلت على صفات دل عليها القرآن : التكليم ، والعلو ، والقرب ، وإثبات بعض الأسماء كالأول ، والآخر ، وإثبات الرؤية ، والله أعلم .

وبهذا نكون قد فرغنا من استعراض كل مل تضمنه هذا الفصل من الأحاديث ، ونقف عند ختام هذا الفصل ، الذي ضمنه الشيخ مقارنة بين أهل السنة وسائر طوائف المبتدعة .

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)) متفق عليه .

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبره به ؛ فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

بل هم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة .

وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم . وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم . وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة و بين المرجئة والجهمية . وفي باب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

ذكرت في الليلة الماضية ، أن ما أورده الشيخ رحمه الله من الأحاديث المشتملة على بعض أسماء الرب سبحانه وتعالى ، منها ما دل على مثل ما دل

عليه القرآن ، كالتكليم ، والعلو ، والمعية ، والسمع ، والرؤية ، وبعض الأسماء كالأول ، والآخر ، والسميع ((إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعا قريبا ، هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)) ، وهو الحديث ما قبل الأخير .

ومنها أحاديث دلت على صفات لم يأت ذكرها في القرآن ، وذكرتها هي ، منها النزول ، الفرح ، الضحك ، القدم ، الرجل . وآخر هذه الأحاديث هو حديث الرؤية ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ــ أو لا تضارون ــ في رؤيته)) وكذلك قال عليه الصلاة والسلام:((وكذلك ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب)) ، ((فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس)) وهي صلاة الفجر ، ((وصلاة قبل غروبها فافعلوا)) وهي العصر .

ونلاحظ أن الشيخ ختم أحاديث الصفات بحديث الرؤية ، كما ختم ما أورده وذكره من آيات الأسماء والصفات ، بالآيات الدالة على رؤية الرب ، ومن هذا ندرك أن الشيخ متعمد بهذا الترتيب ، وكأنها إشارة أن الرؤية هي التي ينتظرها المؤمنون ، وهي محققة للمؤمنين الذين آمنوا بالله ، وبما أخبر به في كتابه ، وأخبر به رسوله ، وبما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله

وحديث الرؤية من الأحاديث المتواترة ، فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، ثابتة بالكتاب وبالسنة المتواترة ، وبإجماع أهل السنة والجماعة ، بإجماع الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، وهم الفرقة الناجية ، يقول الشيخ : (إلى أمثال هذه الأحاديث) يعني هذه النماذج وإلا فأحاديث الصفات كثيرة جدا (إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بما

يخبر به عن ربه) يعني من الأسماء والصفات والأفعال (إن الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه) ، لا يفرقون بين ما جاء في القرآن وما جاء في السنة ، لا ، بل يقبلون هذا وهذا ، يؤمنون بهذا كله ، بما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه من أسمائه وصفاته كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، كما تقدم .

وقد تقدم ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، يقول الشيخ : (فإن الفرقة الناجية وسط في فرق الأمة) ، الفرقة الناجية وسط : في فرق الأمة معتدلة ، هي أدرى بخيار الوسط ، هي العدل الخيار ، كما أن هذه الأمة وسط في الأمم ، قال الله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] يعني عدولا خيارا ، والوسط هو العدل الخيار ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا جفاء ، ولا تقصير ولا تجاوز ، إنما اعتدال واستقامة .

إن الوسطية تمثل الاستقامة ، وإن الاستقامة هي لزوم الصراط المستقيم فلا انحراف هنا ولا هنا ، كما أن الأمة وسط ، والأمة المحمدية التي تحقق لها الإيمان بالله ورسوله ولم تأتِ بما تخرج به عن الإسلام ، نعم هي وسط في الأمم ولو كان لبعضهم ذنوب وأخطاء وعند بعضهم بدع ، لكن ما دام أنه قد تحقق لهم الإيمان ظاهرا وباطنا ولم يأت أحد منهم بما يخرج به عن الإسلام فإنهم من الأمة المحمدية التي يثبت لها هذا الوصف بحسبها ، فكل من كان على الصراط المستقيم ، كان حظه من الوسطية بحسب ذلك .

المقصود أن الشيخ يقول : أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وسط في هذه الأمة ، كما أن الأمة وسط في الأمم . ثم يفصل ذلك في مسائل ، يقول

: فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة ، وسط .

أهل التعطيل ينفون صفات الرب ، يعطلون الرب عن صفات كماله ، يعطلون النصوص عما دلت عليه من الحق ، وشرهم الجهمية ، وهم أهل التعطيل إذ ينفون الأسماء والصفات ، ويدخل فيهم المعتزلة ؛ فإن لفظ الجهمية إذا أطلق يتناول المعتزلة ، ويقابلهم أهل التمثيل الذين يمثلون صفات الرب بصفات الخلق ، يقول أحدهم : له يد كيدي ــ سبحان الله ــ وسمع كسمعي وبصر كبصري ، وهكذا . فهؤلاء أهل التمثيل ، وكل من المذهبين ضلال وكفر ، كما قال الإمام نعيم بن حماد رحمه الله : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه .

أهل السنة هم إذًا يثبتون لله ما أثبته لنفسه خلافا للمعطلة ، بلا تشبيه ، خلافا للمشبهة ، وينزهونه عن النقائص والعيوب خلافا للمشبهة ، بلا تعطيل ، خلافا للمعطلة ؛ فإن المعطلة غلوا في التنزيل ، يعني يزعمون أنهم ينفون الصفات عن الله حذرا من التشبيه ، فغلوا في التنزيه فأفضى بهم ذلك إلى التعطيل ، وفروا من تشبيه فوقعوا في تشبيه أكبر ، والمشبهة ــ يعني أهل التمثيل ــ غلو في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه .

ولهذا قال بعض أهل العلم : إن المعطلة يعبدون عدما . لأن نفي جميع الصفات يستلزم نفي الذات ، والمشبه يعبد صنما ، المشبه الذي يقول : لله سمع كسمعي وبصر كبصري . ليس هذا هو الله الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه .

فأهل السنة وسط ، ولهذا نقول : إنهم يثبتون لله الأسماء والصفات وينزهونه عن كل ما لايليق به إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل . فهذه وسطيتهم ، فكانوا بريئين من الإفراط والتفريط وسائر الانحرافات والضلالات التي وقع فيها من خالفهم .

ثانيا : أهل السنة وسط أيضاً في باب أفعال الله ، بين الجبرية والقدرية.

الجبرية يقولون : لا فعل لأحد بل كل الأفعال أفعال الله ، فالعبد لا فعل له والله هو الفعال لكل شيء ، وعلى مذهبهم الباطل الخبيث يكون الله هو الفاعل بأفعال العبد ، بمعنى أنه هو الموصوف بها حقيقة ، فهو المصلي ، والصائم ، والآكل والشارب ، ونترك الباقي ؛ لأنه فيه شناعة ، فلا فعل للعبد ، العبد حركاته لا اختيار له فيها ولا إرادة ولا مشيئة بل مثله كمثل الريشة في مهب الريح ، وحركته

كحركة الأشجار وحركة المرتعش والعروق النابضة . ويقابلهم القدرية ومنهم المعتزلة ، فللمعتزلة قدرية .

هؤلاء ينفون القدر ، والجبرية يثبتون القدر لكنهم يغلون في الإثبات ، وأما القدرية فيراد بهم ــ في الغالب ــ الذين يقولون : إن الله تعالى لا يقدر على أفعال العبد ، بمعنى أن العبد يخلق فعله فيتصرف دون مشيئة الله ودون قدرته ، فالله لا يقدر على أن يجعل هذا مؤمنا وهذا كافرا ، ولا أن يجعل المطيع عاصيا أو العاصي مطيعا ، أو الكافر مؤمنا ، أبدا ، العبد يفعل بإرادته المحضة المنطلقة المنقطعة عن مشيئة الله وعن قدرة الله ، فينفون عموم المشيئة وعموم الخلق .

أهل السنة بين ذلك وسط في أفعال الله ، فيقولون : إنه تعالى خالق كل

شيء ، فجميع ما في الوجود هو خلقه ، خالق السماوات والأرض ، وهو خالق العباد ، وخالق قدرتهم وإرادتهم ، الله خالق كل شيء ، ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [الصافات : ٩٦] ولكن للعبد فعل ، فأفعال العباد ليست أفعالاً لله ، العبد هو المصلي والصائم والراكع والساجد والآكل والشارب ، والصادق والكاذب ، والظالم والسارق ، وهكذا ، العبد هو الذي يوصف بهذه الأفعال .

ولكن هي أفعال لكنها واقعة بمشيئته تعالى وبقدرته ، وهي مفعولة له ليست فعلا له ، المفعول غير الفاعل ، المفعول هو الشيء المصنوع المنفصل عن الفاعل ، وأما الفعل فمن شأنه أن يقوم بالفاعل ، ولهذا تقدم لكم الذين ينكرون المحبة والرضا والغضب والسخط ، وينفون هذه الصفات عن الله يفسرونها ، بأشياء منفصلة ، بمفعولات بالنعم وبالعقوبات المخلوقة .

إذًا أهل السنة والجماعة وسط في أفعال الله بين الجهمية الذين يقولون : إن العبد مجبور وليس له إرادة ولا اختيار ولا فعل وإضافة الأفعال إليه هي إضافة مجازية ، وإلا فهي في الحقيقة أفعال لله ، وهم وسط ــ أعني أهل السنة ــ بين الجبرية وبين القدرية النفاة الذين يقولون : إن العبد يخلق فعله وأنه لا تعلق لمشيئة الله ولا لقدرته بأفعال العبد .

إذًا هم وسط ، فأهل السنة يثبتون القدر ، ويؤمنون بالقدر بكل مراتبه ، ومع ذلك يؤمنون بالشرع ويثبتون فعل العبد ، فخالفوا بذلك الجبرية والقدرية ، وكانوا وسطا بين الطائفتين الضالتين المنحرفتين .

ثالثا : وهم وسط ، أعني الفرقة الناجية أهل السنة ، وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية ، بين المرجئة والجهمية والوعيدية م ن

الخوارج والمعتزلة ، الخوارج والمعتزلة كلهم وعيدية ، والجهمية مرجئة .

فأهل السنة في باب الوعيد ، والمراد بالوعيد : ما توعد الله به العصاة أهل كبائر الذنوب من الموحدين ، كما توعد الله القاتل وآكل مال اليتيم وآكل الربا ، توعد ما توعد ممن فر من الزحف ، وتوعد مثلا القاذف الغافلات من المحصنات المؤمنات ، وما أشبه ذلك من نصوص الوعيد . إذاً الوعيد هو : الوعد بالعذاب والعقاب .

أهل السنة وسط في نصوص الوعيد بين المرجئة الجهمية والوعيدية من الخوارج والمعتزلة ، فالمرجئة نظرتهم للوعيد نظرة ضعيفة ؛ لأن عندهم أن الإيمان هو التصديق فقط ، أو المعرفة فقط ، قريب من قريب .

إذاً يقولون قولتهم المشهورة : أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

وهذا معناه أنه ليس هناك وعيد ، ليفعل المسلم ما يشاء ولا يخاف ، هذه نظرة المرجئة إلى وعيد الله ، ينظرون إليها نظرة تهوين وتهاون وغفلة وإعراض ، لا يقيمون لها وزنا .

أما الوعيدية فيقولون : إن الوعيد الذي توعد الله به العصاة هذا حتمي ، فمن مات مصرا على كبيرة فلا بد له من دخول النار ، وإذا دخل النار فلا بد له من الخلود فيها ، والوعيدية هم : الخوارج والمعتزلة . الخوارج والمعتزلة يتفقون على تخليد مرتكب الكبيرة ، يقولون إنه مخلد في النار .

وأهل السنة والجماعة وسط في هذا المقام ، يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة من الوعيد مما توعد الله به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ما توعد به من عصاه وخالف أمره ، ولكن يقولون : إن هذا

الوعيد معلق على المشيئة ، فالعاصي إذا مات هو تحت مشيئة الله ؛ لقوله تعالى : **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** [النساء : ١١٦] ، فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ، وإن عذبه فمآله إلى الخروج من النار ، للأحاديث المتواترة في خروج الموحدين من النار ، فيقولون : إن مرتكب الكبيرة مستحق للوعيد ومتعرض للوعيد ولا بد أن يعذب الله من شاء من مرتكبي الكبيرة ، خلافا للخوارج ، للمرجئة والجهمية ، ويقولون إنهم تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وأدخله النار ، عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار ، خلافا للخوارج والمعتزلة .

إذاً يقولون : نصوص الوعيد تُمر كما جاءت ، لا تحرف ، وإن كانت كل نصوص الوعيد على الذنوب مقيدة بقيد متفق عليه وهو نصوص التوبة . فكل من تاب من الذنب تاب الله عليه ، ومقيدة بقوله

تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، ومقيدة بنصوص خروج الموحدين من النار .

ورابعا : (أهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية) هذا التقارب قريب من الذي قبله ، في ترابط ، تماما هو قريب من الذي قبله ، التقابل بين الطائفتين المتطرفتين المنحرفتين واحد ، أهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإيم ان والدين ، وأسماء الإيمان والدين هي الأسماء الشرعية التي ترجع إلى الدين وحال الإنسان في دينه مؤمن ، كافر ، فاسق ، منافق ، عاص ، هذه هي أسماء الإيمان والدين ، فأهل السنة وسط في هذه الأسماء التي تتضمن أحكاما وتستتبع أحكاما دنيوية وأخروية ، هم وسط في هذا الب اب ، باب أسماء الإيمان

والدين ، أو في باب أسماء الأحكام ــ بين الحرورية والحرورية اسم للخوارج نسبة إلى الموضع الذي خرجوا فيه :(حروراء) ــ والمعتزلة ، يعني الخوارج والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية .

وهذا الانقسام يتعلق أيضا بمرتكب الكبيرة ، لكن القضية الأولى الوعيد يتعلق بالآخرة ، أي حكمه في الآخرة ، وقد علمنا حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة عند أهل السنة وعند الخوارج والمعتزلة وعند المرجئة والجهمية ، لكن حكمه في الدنيا :

الحرورية يقولون : إن مرتكب الكبيرة ــ كالعاصي بارتكاب ما نهي عنه ــ هو كافر يخرج عن الإيمان ويدخل في الكفر ، أي كافر حلال المال والدم ، مرتد .

والمعتزلة يقولون : لا ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا هو مؤمن ولا هو كافر ، وهذا أصل من أصولهم ، كما أن من أصولهم إنفاذ الوعيد، يعني حتمية الوعيد ، أي ما توعد الله به من عصى .

أما المرجئة فيقولون : أبدًا ، العاصي مؤمن كامل الإيمان ، الإيمان هو التصديق ، فكل من كان عنده التصديق بربوبيته تعالى والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن كامل الإيمان ، العاصي مؤمن !!

انظروا كيف التقابل والتناقض : الخوارج يقولون : كافر ، المعتزلة يقولون : في منزلة ، يخرج عن الإيمان وليس بمؤمن ، المرجئة يقولون : بل هو مؤمن كامل الإيمان ، أهل السنة بين ذلك يقولون : من أظهر الإيمان وأبطن الكفر فهو منافق ، ومن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وأصر عليها فهو فاسق وهو مؤمن كما سيأتي بفصل ، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، مؤمن

ناقص الإيمان . فلا يسلبون عنه اسم الإيمان المطلق ، ولا يعطونه اسم الإيمان المطلق ، لا يعطونه الاسم المطلق ولا يسلبونه مطلق الاسم ، يقولون : مؤمن ناقص الإيمان ، إذاً صاروا وسطاً ، المرتكب للكبيرة وهو موحد ولم يأت بناقض ، هذا يقولون عاصٍ فاسق ناقص الإيمان ، لكن لا يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان ولا يقولون كافر ، ولا يقولون إنه في منزلة بين المنزلتين وفي هذا تظهر منزلتهم ويظهر تطرف من خالفهم ؛ فالحرورية والمعتزلة في طرف والمرجئة في طرف ، هؤلاء هم المتطرفون حقا ، أما أهل السنة فهم عدل خيار وسط ، لا إفراط ولا تفريط ، أهل عدل في أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم .

والمسألة الخامسة ــ وهي الأخيرة ــ : وأهل السنة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني ما يجب لهم صار قضية ، فأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اختلفت فيهم الفرق ، ففريق غلوا وفريق جفوا وفريق توسطوا .

فأهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج والرافضة ، ؛ فإن الرافضة يغلون في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يغلون في علي بن أبي طالب وذريته ، يغلون في فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، يتجاوزون فيهم الحد ، وأما الخوارج فإنهم يكفرون كثيرا من الصحابة ومنهم علي رضي الله عنه ، فكانوا مع الرافضة على طرفي نقيض .

والرافضة هم شر النواصب ؛ فإن النواصب ــ أو الطائفة الناصبة ــ هم الذين ينصبون العداء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخير أهل

بيت النبي مطلقا أهل بيته وخيرهم هو علي رضي الله عنه ، وإن كان الرافضة يجمعون مع غلوهم في علي وذريته نصب العداوة لخير هذه الأمة بعد نبيها ، لأبي بكر وعمر وعثمان وجمهور الصحابة ، ولا يستثنون إلا نفرا قليلا ، فهم شر من الخوارج ؛ فقد شاركوا الخوارج في نظير ما ضلت وانحرفت فيه الخوارج من أمر الصحابة وزادوا عليهم ، فالرافضة شر ، والخوارج خير منهم بكثير ؛ فالذي يبغض عليا أو يكفره هو أهون ممن يبغض أبا بكر ويكفره ، يعني هذا أهون من هذا وإن كان الكل ضالا منحرفا زائغا عن سبيل الحق ، فأهل السنة وسط ، يحبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينزلونهم منازلهم ، ولا يبغضون أحدا منهم ، ولا يتبرؤون من أحد منهم ، ولا يذكرونهم إلا بالجميل ، ويبغضون من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ــ هذه هي قريب من عبارات الإمام الطحاوي في عقيدته ــ نحن أهل السنة نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نغلو في أحد منهم ، فأهل السنة وسط ينزلونهم منازلهم ، فلا غلو كما صنعت الروافض ، ولا جفاء كما صنعت الخوارج .

فأهل السنة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج ، والله المستعان .